

كلية الآداب ... قسم الآثار

مفردات مادة التاريخ الاسلامي ... المرحلة الثانية .. أ.م.د . نصير بهجت فاضل

الفصل الأول : المصادر الرئيسية لتاريخ العرب قبل الإسلام .

الفصل الثاني : أحوال العرب قبل الإسلام : تمهيد : - شبه الجزيرة العربية موطن العرب الأصلي قبل الإسلام

أولاً :- الحياة السياسية والاجتماعية لعرب ما قبل الإسلام .

ثانياً : الحياة الدينية والمعتقدات والعبادات العرب ما قبل الإسلام .

ثالثاً : أهم الممالك العربية قبل الإسلام

أ ممالك اليمن القديم .

ب ممالك شبه الجزيرة العربية ..

رابعاً : أهم المدن العربية قبل الإسلام .

الفصل الثالث : تاريخ عصر الرسالة والخلفاء الراشدون

أولاً : مصادر تاريخ الدولة العربية الإسلامية

ثانياً :- أحداث القرن الأول الهجري ( سيرة الرسول الأعظم محمد ( صلى الله عليه وسلم ) وبناء

المسجد النبوي الشريف

ثالثاً : الخلافة الراشدة

رابعاً :- تخطيط المدن في الخلافة الراشدة ( البصرة - الكوفة - الفسطاط )

الفصل الرابع : العصر الأموي والعصر العباسي

أولاً :- العصر الأموي ( 132-41هـ ) ، تأسيس مدينتي واسط والقيروان

ثانياً :- العصر العباسي ، تأسيس مدينة بغداد

عنوان المحاضرة : مصادر دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام

يعد تاريخ العرب في عصر ما قبل الإسلام أضعف قسم كتبه المؤرخون العرب عن أحداث تلك الحقبة من الزمن ، وأغلب ما وصل إلينا عن تاريخ تلك الحقبة ، لا يعدو أن يكون أساطير وروايات خرافية ، وأخبار أخذت عن اليهود وغيرهم ، وأخرى وضعها الإخباريون في العصر الإسلامي ، وقد استمر الاعتماد على هذه الموارد حتى القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث قام المؤرخون سيما المستشرقون بالبحث عن مصادر أخرى لهذا التاريخ ، ووجهوا اهتمامهم الى النقوش والكتابات العربية التي دونها العرب قبل الاسلام ، فترجموا كثيرا

من تلك النصوص الى لغاتهم ، وعملوا على نشرها باللاتينية أو العبرانية أو العربية في بعض الأحيان ، وعلى استخلاص ما ورد فيها من أمور متنوعة عن التاريخ العربي .

وبفضل هذه الجهود التي بذلها المؤرخون والآثاريون أمكن الحصول على أخبار دول وأقوام عربية لم يرد لها ذكر في المصادر الإسلامية ، لان اخبار تلك الدول وأولئك الأقوام كانت قد انقطعت وطمست قبل الإسلام ، فلم تبلغ أهل الأخبار ، ومما ساعد المستشرقين على شرح تلك الكتابات وتفسيرها ، معرفتهم بلغات عديدة كالعبرانية والسريانية والبابلية ، وكان للسياح الذين جابوا مواضع متعددة من جزيرة العرب لاسيما القسم الغربي والجنوبي منها فضل كبير في بعث الحياة في الكتابات التي تتصل بتاريخ العرب قبل الإسلام ، إذ اخذ أولئك السياح بعض الكتابات وصوروا البعض الآخر ، وبفضل التعاون مع علماء اللغات الشرقية أمكن حل رموز تلك الكتابات ، واستطاعوا بذلك تدوين ما توصلوا اليه من التاريخ القديم الذي بين أيدينا .

وقد جمعت مادة تاريخ العرب قبل الإسلام من موارد كثيرة أهمها ما يأتي :- 1 القرآن الكريم ويعد أهم مصدر من مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام ، لما يقدمه من نصوص

فريدة عن حياتهم آنذاك

2 الآثار والنقوش والكتابات القديمة : الآثار هي ما بقي شاخصا من دلالات الحضارات والمدن

القديمة ، وتعد مصدرا مهما يقدم معلومات قيمة عن حقبة تاريخية معينة

أما النقوش والكتابات القديمة فتعد في طليعة المصادر التي رفدت تاريخ العرب قبل الإسلام بمعلومات مهمة لأنها الشاهد الناطق الحي الباقي من تلك الأيام ، وهي على قسمين ، نقوش وكتابات غير عربية تطرقت الى ذكر العرب ، أو نصوص وكتابات عربية كتبت بلهجات مختلفة

عثر على بعضها في العربية الجنوبية أو مصر أو الحبشة أو غيرها .

3 التوراة والتلمود وبعض الكتب العبرانية

التوراة : كلمة تعني التعليم أو التوجيه أو الإرشاد ، وهي الأسفار التي نزلت على موسى ( عليه

السلام ) كسفر التكوين والخروج وغيرها

التلمود : كلمة عبرية تعني الدراسة ، وهو كتاب تعليم الديانة اليهودية ، وبصياغة أخرى هو تدوين لنقاشات حاخامات اليهود ، وقصص موثوقة من التراث اليهودي ، وهو مرجع اساس لتعليم أخلاق

هذه الديانة

4- الكتب اليونانية واللاتينية : وهي كتابات هيرودوتس ( 425-484 قبل الميلاد) ، إذ ذكر العرب أثناء حديثه عن حروب الفرس ، وسترابو ( 64 أو 63 قبل الميلاد - 24 ميلادية ) الذي ألف كتاب في الجغرافية وتكلم في أحد فصوله عن مدن العرب ، هذا فضلا عن الجغرافي الفلكي بطليموس ( 100 - 170م) الذي دون كتاب في الجغرافية وصف فيه العلاقات مع العرب ثم أشار الى بعض ربوعهم 5 المصادر العربية الإسلامية : ومنها كتاب المحبر لمحمد بن حبيب ، وكتاب المسالك والممالك للإصطخري.

## مملكة الحيرة

## الموقع والتسمية والمكانة الاقتصادية :

تقع الحيرة في ضمن منطقة السهل الرسوبي لبلاد ما بين النهرين عند الأطراف الشمالية الغربية لبادية السماوة، وهي تبعد مسافة ثلاثة أميال إلى الجنوب الغربي من مدينة الكوفة، إذ نشأت مدينة الحيرة في منطقة سهلة منبسطة على حافة البادية، وقد ذكر (الحموي) أن الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به ... ويقال لها الحيرة الروحاء ))، ويتميز موقع الحيرة بميزات رائعة يصفها (القلقشدي): ((بصحة هوائها وطيب مائها ونزهة ظاهرها تصلح للخف والظلف ... محل الملوك ومزارهم ومسكنهم ومثواهم )) .

أما التسمية فقد وردت فيها آراء عديدة، فمنهم من قال أنها سميت الحيرة لان تبعاً الأكبر لما قصد خراسان خلف ضعافاً ومرضى جنده بذلك الموضع، وقال لهم حيروا به أي أقيموا به، أو أنها سميت الحيرة لأن تبعاً لما أقبل بجيوشه فبلغ موضع الحيرة ضل دليله وتحير فسميت الحيرة، والراجح هو أن التسمية مشتقة من كلمة حرتا Harta الأرامية أو حيرتو السريانية، وكلا الكلمتان تعنيان المخيم أو المعسكر أو المقام.

## السكان

وسكن هذه المنطقة قبائل عربية مختلفة هاجرت إليها منذ أزمان بعيدة، كان في مقدمتها هجرت الأكديين الذين أسسوا أول دولة مركزية موسعة في التاريخ، ثم أعقبتها هجرات عربية كبيرة أخرى، وكان من نتائجها نشوء دولة المناذرة. كان أغلب سكان هذه المنطقة من العرب، من سكان الحيرة أيضاً (النبط) وهم بقايا الكلدانيين والسريان، وكانوا يمتنون الزراعة وتربية الحيوانات، ويسكنون القرى، فضلاً عن اليهود الذين هم من بقايا السبي البابلي، واستقروا في المنطقة، وشيدوا المدارس. ويقسم المؤرخون العرب سكان هذه المنطقة على ثلاث أقسام هي: تنوخ والعباد والأحلاف فضلاً على شرائح اجتماعية أخرى، وتنوخ كانوا أصحاب المظال وبيوت الشعر ينزلون غربي الفرات فيما بين الحيرة والأنبار فما فوقها، ولا ينزلون بيوت المدر، وكانوا يسمون عرب الضاحية، ويعتقد أن المقصود بتنوخ هم جموع من الأزدي ومن غيرهم ممن كان يشتغل بالزراعة ومن كان يعيش عيشة البادية من سكان المنطقة المحصورة بين الحيرة والأنبار، ولم يقصد بها قبيلة معينة بل مجموعة قبائل تحالفت على الإقامة والعيش المشترك، أما العباد فهم الذين سكنوا الحيرة وابتنوا بها، وهم قوم متحضرون يعيشون حياة التمدن والاستقرار وهم من قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة، فأنفوا أن يتسموا بالعبيد وقالوا نحن العباد، وقد اختلف المؤرخون العرب في رأيان في سبب هذه التسمية، فمنهم من رأى أن التسمية جاءت لرفعهم شعار يا لبلاد الله في أثناء حربهم ضد سابور ذو الأكتاف، فسموا العباد، والرأي الثاني هو أن معظم أسمائهم تبدأ بكلمة (عبد)، أما الأحلاف فهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها، وهم ليسوا من تنوخ ولا من العباد، وكانت هذه القبائل تتجول في أطراف الحيرة وأحياناً تستقر فيها، ويتوقف عددهم على قوة المناذرة وامتداد حكمهم.

## الأحوال السياسية في الحيرة :

يكتنف الكثير من الغموض تاريخ الحيرة السياسي قبل الميلاد، لنقص الكتابات التي تشير إلى زمن تأسيس الحيرة، وقد وردت إشارات عابرة في المصادر العربية ترجع زمن تأسيس الحيرة الى عهد نبوخذ نصر الثاني ( ٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م) الذي جلب القبائل العربية وبني لهم حيراً على النجف وحصنه ثم ضمهم فيه، والمعلومات

عن الحيرة تصبح أكثر وضوحاً بعد الميلاد، حيث تشير إلى تولي المناذرة حكم منطقة الحيرة ، وقد سميت بدولة المناذرة نسبة إلى أسماء بعض ملوكها ممن اسمه (المنذر)، وتشير المصادر إلى تولي سلالتين عربيتين السيادة في غربي الفرات بصورة عامة ومنطقة الحيرة بصورة خاصة، وهاتان السلالتان هما: السلالة التتوخية والسلالة اللخمية

وأجمعت المصادر العربية على أن التتوخيون هم مزيج من قبائل عدة اجتمعت بالبحرين وتحالفوا على التتوخ (الإقامة) وتعاقدوا على الوحدة فيما بينهم تحت اسم تتوخ، ثم ارتحلوا بعد ذلك إلى العراق وأقاموا فيه وكانت منازلهم فيما بين الحيرة والأنبار وهيته وناحتها وعين التمر وأطراف البر وما والاها، أما اللخميون فنسبة إلى لخم وهي قبيلة من اليمن من العمرو بن عدى ابن نصر اللخمي.

نشأت دولة المناذرة أيام حكم الفرس الساسانيون للعراق، إذ كانت القرى والمزارع التابعة للساسانيين على حافة الصحراء الغربية تتعرض من حين لآخر لغارات القبائل العربية البدوية فشعر الساسانيون بحاجة إلى عرب يملكونهم على ثغور العراق يصدوا غارات البدو، فملكوا اللخميون على الأطراف الغربية للسواد، وبنى اللخميون في هذه المنطقة عدداً من المدن أو القرى والقلاع أهمها الحيرة على حافة الصحراء الغربية.

وكان أول ملك تتوخي هو مالك بن فهم الأزدي، وكان منزله مما يلي الأنبار، خلفه أخوه عمرو بن فهم الأزدي، ثم جذيمة بن مالك بن فهم الأزدي المعروف بالأبرش، يلقب كذلك بـ (الوضاح) لبرص كان فيه، وبعد أشهر ملوك هذه السلالة، حيث امتدت سيادته على نواح كثيرة في العراق، كما غزا طسم وجديس ومنازلهم في اليمامة، وحاول أن يمد نفوذه إلى منطقة البحرين جنوباً، وإلى بادية الشام غرباً، وذكر (القلقشندي) أن جذيمة أول من جلس على السرير من ملوك العرب، وأول من اتخذ المنجنيق من العرب، وكان له صنمان يقال لهما الضيزنان يستسقي بهما ويستنصر بهما على عدوه ، وانتهت حياة جذيمة على يد الزباء .

وبعد مقتل جذيمة يبدأ حكم السلالة اللخمية (آل لخم) (سنة ٢٦٨م) ، وتسمى هذه السلالة آل نصر أيضاً ، حيث خلفه ابن أخته عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي، وهو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب بعد أن كان ملوك التتوخيين لا يستقرون في مدينة وبهذا المعنى يعد عمرو بن عدي مؤسس حكم المناذرة في العراق ، ومن أشهر الملوك الذين جاءوا من بعده الملك النعمان الأول بن امرئ القيس ، وقد عرف هذا الملك باسم النعمان الأعور)، وذكرت المصادر العربية أنه كان من أشد ملوك العرب نكاية في أعدائه، غزا الشام مراراً وأكثر من المصائب في أهلها وسبى وغنم، ويذكرون أيضاً أنه جند الجند على نظام خاص عرف به، فكان عنده من الجيش كتابيتان : الأولى اسمها (الشهباء ) ( لأن رجالها كانوا بيض الوجوه وهي مؤلفة من ألف رجل من الفرس، والثانية من عرب تتوخ اسمها (الدوسر)، فكان يغزو بهما من لا يدين له من العرب ، واهتم هذا الملك بالبناء والعمران، حيث اشتهر ببنائه لقصر الخورنق الشهير ، وبناء قصور يمثل هذه الفخامة يدل على قوة الاقتصاد الذي كان يتمتع به المناذرة، وفي عهد هذا الملك بدأت المسيحية تنتشر في الحيرة، فقد سمح بحرية ممارسة المسيحية في الحيرة، وتشير المصادر العربية إلى أن الملك النعمان بينما هو جالس في قصر الخورنق ينظر منه إلى ما بين يديه من الفرات وما عليه من النخل والأجنة والأشجار إذ ذكر الموت فقال: وما ينفع هذا مع نزول الموت وفراق الدنيا ؟ ، فتنسك وتخلي عن الملك ولبس المسوح وساح في الأرض، وسمي بـ (النعمان السائح).

ومن الملوك المشهورين في هذه السلالة أيضاً الملك المنذر بن ماء السماء، وقد حارب هذا الملك ضد البيزنطيين في سورية، وبلغ بغاراته إنطاكية، أما آخر ملوك المناذرة فكان النعمان الثالث بن المنذر الرابع ( ٥٨٥-٦١٣م) ، حيث قتل هذا الملك على يد الملك الفارسي كسرى أبرويز، وتذكر المصادر العربية أن قصة

مفادها أن ملك الفرس طلب من المنذر الرابع أن يرسل له أحداً يترجم له الكتب، فبعث له بعدي بن زيد وأخوين له يترجمون لملك الفرس، وكان النعمان بن المنذر قد تربى في كنف آل عدي بن زيد، ولما توفي المنذر الرابع تمكن عدي بن زيد أن يجعل النعمان بن المنذر ملكاً على الحيرة بدهائه وذكائه، وهذا الأمر أوغل الحقد في نفوس إخوة النعمان، وتمكنوا من أن يوقعوا بالنعمان، إذ أوغلوا صدره على عدي بن زيد، الأمر الذي دفع النعمان إلى قتله عدي بن ولل، وبالمقابل تمكن حده زيد بن عدي أن يثأر لأبيه، وكان يعمل لكسرى عمل أبيه في ترجمة الكتب، وطلب كسرى يوماً جارية وصف صفتها فلم يعثروا له على من بها مثل هذه الصفات، وأشار له زيد بن عدي أن عند النعمان بنات وقربيات على أكثر مما يطلب الملك، فوجه كسرى إلى النعمان يأمره أن يبعث إليه ابنته ليتزوجها، فقال النعمان: أما في عين السواد وفارس ما يبلغ الملك حاجته؟، فلما سأل كسرى عما يعنيه بالعين؟، قال زيد بن عدي: أراد البقر ذهاباً بابنته عن الملك، فغضب الملك، ثم كتب كسرى إلى النعمان يأمره بالقدوم إليه.

وعلم النعمان بنية كسرى، فحمل سلاحه وما قوى عليه حتى نزل في بطن ذي قار في بني شيبان، وأودعها عند هاني بن مسعود الشيباني، ومضى إلى كسرى فنزل ببابه، فأمر أن يطرح تحت الفيلة فداسته حتى قتلتها وقرب للأسود فأكلته، وولى الحيرة من بعده أياس بن قبيصة الطائي إلى جانب مقيم فارسي يمثل كسرى، ووجه كسرى إلى هاني بن مسعود الشيباني أن يرسل له مال وسلاح وبنات النعمان، فأبى هاني وقومه أن يلبوا طلبه، وقد ثار العرب لمقتل ملكهم، وأرسل كسرى أبرويز حملة تمكن العرب من هزيمتها في معركة ذي قار، وقد وصلت أصداء هذا الانتصار إلى جميع أنحاء الجزيرة العربية، وتذكر المصادر التاريخية أن الرسول؟ لما سمع بانتصار العرب على الفرس في معركة ذي قار ( قال : ((هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبني نصروا))، ويمكن القول أن السبب في رفض النعمان تزويج بناته لملك الفرس كون أن بنات النعمان كن نصارى مترهبات، وكان كسرى أبرويز مجوسياً زرادشتياً لا تحل له النصرانية، فرفض النعمان عرض الزواج، وأولت إلى ما أولت إليه قصة الرفض.

### دولة تدمر التسمية والموقع والمكانة الاقتصادية :

يرجح أن تكون تدمر قد استوطنت في الألف الثاني قبل الميلاد، حيث كانت سورية مؤلفة من عدد من الوحدات السياسية التي تحكمها أسر أمورية ينحدرون من قبائل بدوية (عربية) سورية قطنت في مناطق تدمر، إلا أن هذه الأسر التي كونت مجاميع متفرقة لم تتوصل إلى تشكيل وحدة سياسية شاملة.

تعود أقدم إشارة إلى تدمر تلك التي وردت في النصوص المسمارية من عهد سرجون الأول الأكدي ( ٢٤٧١ - ٢٣١٦ ق.م)، وورد اسم تدمر في كتابات قديمة تعود لمدة الملك الآشوري تجلات بلاصر الأول ( ١١١٥ - ١٠٧٧ ق.م) سميت في هذه الكتابات تدمر العموريين، وهناك اشارات عديدة إلى تدمر في النصوص العراقية القديمة، وأشارت التوراة الى ان النبي سليمان بن داود ( عليه السلام ) هو الذي بنى مدينة تدمر، والملاحظ عموماً أن ذكر تدمر في معظم هذه النصوص يرتبط بالتجارة، مما يشير بوضوح إلى الأثر الكبير الذي لعبته تدمر في التجارة العالمية منذ أقدم العصور، كما ورد اسم تدمر في الكتابات الآرامية باستمرار دلالة عليه، وقد عرفت عند الكتاب اليونان والرومان باسم (بالميرا Palmyra) بدلاً من اسم تدمر، وهذا المصطلح مشتق من الكلمة اللاتينية (Palm) وتعني النخل أو التمر، وقد أطلقه الإسكندر الكبير (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) عندما رأى غابات النخيل العظيمة التي تتواجد في تدمر بعد أن تمكن من دخولها، فسمها (بالميرا Palmyra)، أي مدينة النخيل، ورددت المصادر العربية ما أورده التوراة في أن تدمر بناها الجن بأمر

من النبي سليمان؟، وأنها من عجائب الأبنية، موضوعة على العمدة الرخام، وهي عبارة عن واحة شكلها منبسط، تقع في طرف البادية التي تفصل الشام عن العراق، وتقع في منتصف الطريق بين الفرات والبحر المتوسط، وهي على العموم منبسطة السطح تحيط بها جبال تفصل بينها وبين البادية.

تعد التجارة الدولية النشاط الرئيس للتدمريين، وقد ساعدت مياه هذه الواحة وتوفر التربة الخصبة على ازدهار الزراعة في تدمر، الأمر الذي رفع منزلة تدمر من محطة منعزلة في البادية تنزل بها القوافل إلى مكانة مدينة من الدرجة الأولى، وسوقاً للتجارة تكدست فيه أنفس البضائع وأثمنها، وتجمعت فيها رؤوس الأموال، وعرفت تدمر بنشاطها الواضح في الصناعات النسيجية، كما برع التدمريون في الصناعات الجلدية، وبرع التدمريون في صناعة الحلي والمصوغات الذهبية، وقد لاقت المصوغات التدمرية إقبلاً عليها، فصدرت الحلي الذهبية المنتجة في تدمر إلى روما وباقي بلاد العرب .

### التاريخ السياسي لتدمر :

ارتبط تاريخ تدمر بتاريخ الرومان، ويتوضح ذلك من خلال ما ذكره الكتاب الرومان، إذ أن أول إشارة إلى العلاقات السياسية بين تدمر والرومان تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد، عندما حقق التدمريون هزيمة كبيرة بالجيش الروماني العائد من حرب الفرثيين، وربما كان للطمع الروماني في تدمر أثر في توجيهها نحو التحالف مع الفرس الفرثيين، ولم تخضع تدمر للنفوذ السياسي الروماني إلا في عهد طيباريوس ( ١٤ - ٣٧م)، عندما حقق تدمر بالولاية العربية (الولاية الرومانية الرابعة ومركزها بصرى، إلا أن خضوعها لم يكن سياسياً إنما كان إدارياً فقط، إذ مع أن تدمر اعترفت بسيادة روما عليها، إلا أنها لم تتخل عن استقلالها، على الرغم من وجود ممثل لروما في تدمر، وهذا ما أكدته بليني (ت ٧٩م) عندما أشار إلى أن تدمر لم تكن في عهده ولاية رومانية، إنما كانت دولة حاضرة بين الإمبراطوريتين الرومانية والفرسية.

وعندما زار الإمبراطور هادريان (١١٧ - ١٣٨م) تدمر أطلق عليها اسم (هادريانا)، مع أنه لم يخضعها لسيطرته، وجعل منها معبراً تجارياً بين الرومان والفرس، بعد أن اتبع سياسة مسالمة معهم، وغير الممثل العسكري لروما في تدمر إلى وكيل يراقب سير الخزانة بعد أن منحها الاستقلال الرسمي، وقد بقيت تدمر تحتفظ بامتيازاتها، حيث رفعها الإمبراطور سبتيموس سيفيريوس (١٩٣ - ٢١١م) إلى منزلة المستعمرة العليا عند زيارته لتدمر في طريقه لحرب الفرس، وقد صحب معه في تلك الحرب حيران بن وهب اللات حاكم تدمر، الذي نشأت في عهده الدولة الساسانية الفارسية ( ٢٢٦ - ٦٤٠م) فعادت الحرب بين الروم والفرس إلى الاندلاع من جديد، ثم زارها الإمبراطور إسكندر سيفيريوس بين ( ٢٣١ - ٢٣٠م) ومنح حاكمها أذينة الأول بن حيران لقب ملك، وقد حاول أذينة التمرد على الرومان للتخلص من سيطرتهم مستغلاً حربهم مع الساسانيين، فاكشف الرومان عزمه واغتالوه في أواسط القرن الثالث الميلادي.

ومن قادة تدمر المشهورين أيضاً أذينة الثاني الذي حكم تدمر في حوالي عام (٢٥٨م)، وفي عهده اندلعت الحرب الثانية بين الفرس والروم، واستطاع الفرس إلحاق هزيمة بالجيش الروماني في معركة (اديسا)، فتمكن أذينة الثاني من جمع بقايا القوات الرومانية إلى جانب جيشه، وتمكن من إجبار الفرس على التراجع عن الأراضي التي تمكنوا من السيطرة عليها، فكانت ضربة قاسية لملك الفرس وجنده، وهنا منح درجة قائد عام على جميع عساكر المشرق وأصبح سيد الشرق الروماني، وتمكن من فرض سلطته على سوريا وسائر آسيا الرومانية وأصبح حاكماً عاماً عليها في سنة ( ٢٦٠، ٢٦٤م)، مما يوحى بالسيادة الحقيقية التي كان يتمتع بها في مملكته، واتخذ لنفسه لقب ملك الملوك، وقد عد بعض الباحثين هذا التاريخ هو تاريخ تأسيس الملكية في

تدمر ، وهذا ما اشار اليه بغض المؤرخين إذ ذكروا بان ساعة انتصار أذينة على الملك الساساني سابور كانت ساعة التخلص من العبودية الرومانية، وإعلان الاستقلال.

وكانت زنوبيا زوجة أذينة الثاني تنوب عن زوجها في حكم البلاد في أثناء غيابه مما أكسبها شهرة واسعة لمقدرتها الإدارية، وقد مكنتها من ذلك إجادتها للغات الآرامية والقبطية وبعض اللاتينية واليونانية، وإطلاعها الواسع بتاريخ الشرق والغرب، فضلاً عن تميزها بالشجاعة والدهاء والهيبة والنفوذ بين قوادها وكبار رجال الدولة، وكانت في كثير من الأحيان تقود جيشها مرتدية لباس الحرب، ولما اغتيل أذينة الثاني في عام (٢٦٧م) ويبدو ان ذلك كان بتدبير الرومان.

خلف وهب اللات أباه، وكان صغير السن، فأصبحت أمه زنوبيا وصية عليه، وكانت تخطط لتكوين دولة ذات سيادة مستقلة استقلال تام عن الرومان، وبالفعل تمكنت من دحر جيش الرومان في عام (٢٦٨م) ، وأعلنت في سنة (٢٧١م) استقلال تدمر عن روما، وتمكنت من فرض سلطانها على مصر وسوريا والعراق وآسيا الصغرى إلى أنقرة، وقامت بحملتين على مصر الأولى في حدود عام (٢٦٨-٢٦٩م)، ويبدو أن هذه الحملة لم تحقق أهدافها، فقامت بحملة أخرى في عام (٢٧٠م) تمكنت فيها من احتلال مصر ، وهذا ما دفع الإمبراطور أورليان (٢٧٥ - ٢٧٠م) إلى قيادة جيوش جرارة بغية إعادة السيطرة على تدمر ، وتمكنت جيوش أورليان من دحر جيش زنوبيا، والقي القبض عليها في عام (٢٧٣م)، وأخذها أسيرة إلى روما، وقد حاول أحد أقارب زنوبيا واسمه انطيوخس) الثورة على الرومان والتحرر منهم، إلا أن أورليان عاد ودمر أسوار تدمر، وفتك بأهلها ، وأباح المدينة لجنده، وتحولت تدمر إلى مدينة قوافل صغيرة ، وبهذا المصير انتهت تدمر على يد الرومان.

### دولة الغساسنة:

#### التسمية والموقع والمكانة الاقتصادية :

يسمى الغساسنة أيضاً ب آل جفنة وب أولاد جفنة نسبة إلى أول ملوكهم جفنة بن عمرو مزريقاء، وكذلك يسمون ب آل ثعلبة نسبة إلى جد لهذه الأسرة يعرف باسم ثعلبة بن مازن وعاصمتهم الدينية كانت (بصرى)، أما عاصمتهم السياسية فكانت مخيماً منتقلاً، ثم أصبحت (الجابية) في الجولان، والغساسنة من أزد اليمن، نزحوا قبل أو بعد حادثه السيل العرم تحت قيادة زعيمهم عمرو بن عامر مزريقاء من جنوب شبه جزيرة العرب إلى شمالها، وقبل أن يستقروا في سوريا، أقاموا حيناً من الزمن في البلقاء من أرض تهامة على نبع ماء يقال له (غسان) فنسبوا إليه

وكان يسكن مشارف الشام قبل نزوح الأزد الغساسنة قوم يعرفون بالضجاعة وهم من قبائل بني سليح من قضاة، الذين فرضوا على الغساسنة إتاة يدفعونها لهم زماً إلى أن تغلب الغساسنة عليهم وحلوا محلهم، إلا أن تغلب الغساسنة على بني سليح الضجاعة لم يقض عليهم نهائياً، بل ظلوا مقيمين في مواضع أخرى من الشام إلى زمن متأخر ، وديار الغساسنة تمتد ما بين الجولان واليرموك .

#### حضارة الغساسنة:

أما حضارتهم فقد كانت متأثرة بالحضارتين الساسانية والبيزنطية، فأقاموا الكثير من القصور والقناطر والأبراج وغيرها ، فعمرت المدن بهذه الأبنية، واشتغل الغساسنة بالزراعة، فاستغلوا مياه حوران التي تتدفق من أعلى الجبال في الزراعة، فعمرت القرى، ويرجح أن يكون الغساسنة قد استفادوا من موقعهم في عملية نقل التجارة، سواء أكانت محلية مما اشتهرت سوريا بإنتاجه لاسيما الأقمشة والحبوب، أو مما يأتيها من خارج

البلاد لاسيما التجارة الواردة من الهند والصين عبر الخليج العربي، على ذلك كانت محطة للقوافل وسوقا نشطة للبيع والشراء ، وكانت لغتهم هي اللغة العربية إلى جانب اللغة الآرامية التي تأتي في الدرجة الثانية، أما ديانتهم فهي النصرانية على المذهب (المنوفستي) (اليعقوبي) نسبة إلى يعقوب البرادعي الرهوي.

### الأوضاع السياسية

ان أول من ملك من غسان جفنة بن عمرو الغساني ، وكان الذي ملكه على عرب الشام الامبراطور الروماني نسطور ، أما الحارث بن جبلة بن الحارث الجفني (٥٢٩-٥٦٩م) فيعد من أعظم وأشهر ملوك الغساسنة، وكان معاصراً للإمبراطور البيزنطي جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م)، ولكسرى انوشروان (٥٢١ - ٥٧٩ م) ، وأعجب البيزنطيين بشجاعة الحارث بن جبلة، ومنحه الإمبراطور جستنيان سنة ٥٢٩ م لقب (ملك) ، مع أن بعض المصادر الأجنبية تشير إلى أنه منحه لقب (بطريق) (بطيريك)، أو لقب شيخ القبيلة (فيلاركوس)، لأن لقب (ملك) كان مقتصراً على الفياصرة، وكان يقصد من وراء إعطاء مثل هذه الألقاب دعم الغساسنة ليكونوا قوة عسكرية أو دولة حاجزة تكفيهم غزو القبائل البدوية المستمر على حدود بيزنطة، وليكونوا قوة عسكرية أمامية بوجه المناذرة ومن ورائهم الفرس العدو التقليدي للروم

وبالفعل استطاع الحارث بن جبلة ضبط الأمن في سوريا في أثناء انشغال جستنيان بحروبه في أسبانيا وشمال أفريقيا، وتذكر المصادر العربية أن الحارث بن جبلة وقعت بينه وبين المنذر بن امرئ القيس اللخمي ملك المناذرة معارك كثيرة كان آخرها معركة كبيرة في (قنسرين) عام ٥٥٤ م ، تمكن خلالها الحارث بن جبلة قتل المنذر ودخول (قنسرين . ) خلف المنذر الأكبر ( ٥٦٩-٥٨٢ م ) أباه الحارث بن جبلة في حكم دولة الغساسنة، وحارب المناذرة، وتمكن في سنة ٥٧٠م من الانتصار عليهم في معركة (عين أباغ) بالقرب من الحيرة وكان المنذر مؤيداً للمذهب (المنوفستي) (اليعقوبي)، الأمر الذي أدى إلى تدهور العلاقات بين البيزنطيين والغساسنة، وقد فشل الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني (٥٦٥-٥٧٨م) في تدبير مؤامرة لقتله، إذ أحس المنذر الأكبر بهذه المؤامرة، فهرب إلى البادية، وشق عصا الطاعة عن البيزنطيين لمدة ثلاث سنوات، الأمر الذي دفع المناذرة إلى استغلال الفرصة ومهاجمة سوريا وعاثوا بها فساداً، فاضطر جستنيان الثاني إلى عقد الصلح مع المنذر الأكبر ليضبط لهم الحدود الجنوبية الشرقية لإمبراطوريتهم، وأنعم الإمبراطور الجديد طيباريوس (٥٧٨-٥٨٢م) على المنذر بالتاج بدلاً من الإكليل، في أثناء زيارة المنذر للقسطنطينية سنة ٥٨٠م.

ثم ساءت العلاقات بين المنذر والبيزنطيين على إثر فشل الحملة التي أرسلها الإمبراطور طيباريوس إلى الفرس، فعزا البيزنطيين الهزيمة إلى تواطؤ المنذر مع الفرس، ثم اعتقل من قبل الحاكم البيزنطي في سوريا وأرسل إلى القسطنطينية مع اثنين من أبناءه وإحدى نساءه متهماً بالخيانة، وعندما تولى الإمبراطور موريق ( ٥٨٢-٦٠٢م) الحكم في بيزنطة، وقد عرف بعدائه للمنذر، إذ أمر أن ينفى المنذر إلى جزيرة صقلية، وأمر أن تقطع المعونة السنوية عن أسرة المنذر، الأمر الذي أغضب أبناء المنذر ، فتمردوا على البيزنطيين، ودخلوا الصحراء، وقاد النعمان أكبر أبناء المنذر هجمات على عينة ضد (بصرى) التي كانت أكبر قاعدة بيزنطية في سوريا.

وقد تمكن الإمبراطور موريق من الإيقاع بالنعمان بن المنذر ، وألقي القبض عليه وأرسل إلى القسطنطينية، وبعد ذلك عمت الفوضى دولة الغساسنة، وتجزأت إلى أن استولى الفرس على سوريا عام ٦١٤ م ، ثم تمكن الإمبراطور البيزنطي (هيراكليوس ) ( هرقل ) طرد الفرس من سوريا في سنة ٦٢٨م، وأعاد الغساسنة إلى حكم سوريا، إلا أن المعلومات عنهم قليلة ومتفرقة وغير مهمة، وكان آخر ملوكهم هو جبلة بن الأيهم، الذي حارب الفرس إلى جانب البيزنطيين





## حياة الرسول (ﷺ) من الولادة حتى البعثة

إن التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي مرت بشبه الجزيرة العربية حتى القرن السادس الميلادي ، أذنت بقرب فجر جديد قلب موازين القوى في المنطقة . وكانت إرادة الله تعالى أن تكون القيادة بيد محمد بن عبد الله ( ) وهو رجل من العرب ومن أبناء مكة حيث بيت الله الحرام ، وهذه الرسالة التي حملها النبي (ﷺ) هي الإسلام .

## نسب محمد (ﷺ) :

اتفقت المصادر على عروبة محمد (ﷺ) وانتسابه إلى قبيلة قريش من خير قبائل العرب، فقد قال (ﷺ): "أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين ، فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نسبا" رواه الترمذي وأحمد ، ونسبه على نحو ما يأتي : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ( ) . فرسولنا (ﷺ) من سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة ، إذ جاء في صحيح مسلم أنه (ﷺ) قال : " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، وأصطفى قريشا من كنانة ، وأصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم وهذه السلسلة اتفق عليها النسابون العرب، والملاحظ في نسبه (ﷺ) انه يلتقي عند فهر بجميع بطون قريش ، كما أن التقاء نسبه بعدنان يجعله من القبائل العربية الشمالية المعروفة بـ ( العدنانية ) .

وكان الأجداد (ﷺ) دور كبير في حياة مكة كقصي بن كلاب وهاشم بن عبد مناف . أما عبد المطلب فنشأ في يثرب لأن أمه كانت من هناك من بني النجار ، وذكر أن أسم عبد المطلب كان (عامرا ) . وقد نذر عبد المطلب أن ينحر أحد أبنائه أن بلغوا عشرة أولاد ، فأصبح له من الولد عشرة فعلاهم كل من : ( الحارث ، الزبير ، وحجل ، وضرار ، المقوم ، أبو لهب ، العباس ، وحمزة ، وأبو طالب ، وعبد الله ) . فهمه نذره فقدم قربانا مئة من الإبل فدية لولده.

ومن هذا نستدل على حالة عبد المطلب الاقتصادية الجيدة ، كما أن مركزه قوي بين قومه بعد أن أصبح له عشرة أولاد . وقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن عبد الله كان من اجملهم واحبهم الى عبد المطلب فزوجه أمينة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أفضل امرأة في قريش.

أشارت معظم الروايات التاريخية إلى أن الرسول (ﷺ) قد ولد يتيم الأب ، إذ أن والده توفي وهو في بطن أمه ( ألم يجديك يتيما فأوى . ) وولد ( ) بدار والده بموضع يدعى شعب بني هاشم . وعندما ولد أرسلت أمه أمينة بن وهب إلى جده عبد المطلب وطلبت منه أن يسميه (محمدأ ) .

ومكث (ﷺ) عند أمه مدة قصيرة بعد ولادته ريثما يجدون له مرضعة . وقد ذكر أن أول من أرضعته مولاة لأبي لهب تدعى ثويبة . وروي أن المرضعات اللواتي قدمن من بادية بني سعد بن بكر بن هوازن للحصول على أطفال لإرضاعهم ، فما من امرأة منهن إلا وعرض رسول الله (ﷺ) كما تروي حليلة السعدية : ( فإذا قيل لها انه يتيم تركناه وقلنا ماذا عسى ان تصنع إلينا أمه إنما نرجو المعروف من أبي الوليد . . . ، فلما لم أجد غيره قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى والله إني أكره أن ارجع من بين صويحباتي ليس معي رضيع ، لا نطلقن إلى ذلك اليتيم فلأخذنه . . . . . وكانت الأسباب التي دفعت أهل مكة إلى إرسال أطفالهم إلى مرضعات من

أهل البادية كي ينشئوا في جو صحي صحيح بعيدا عن الوباء ، ومن أجل أن يتعلموا فصاحة اللسان وخشونة العيش كان مكة بحكم مركزها الديني والتجاري مدينة يلتقى فيها الناس من شتى الأجناس مما يؤثر على لهجات وعادات أهلها فضلا عن احتمال نقل العدوى إلى أبنائها ، كما أن أصول قريش البدوية شجعتهم على إرسال أبنائهم الرضع إلى البادية لينشئوا فيها نشأة صحيحة.

وقد كان (ﷺ) يفخر بنشأته في بني سعد وتعلمه لسانهم بقوله : (أنا أعربكم ، أنا قريشي واسترضعت في بني سعد بن بكر ) ولم تتفق المصادر على المدة التي مكث فيها (ﷺ) عند مرضعته حليلة السعدية ، فأشارت بعضها إلى أنها كانت أكثر من سنتين بينما قالت أخرى أنها أربع سنوات أو أنها خمس سنوات . وعلى الأرجح أنه بقي هناك بحدود خمس سنوات لأنه (ﷺ) كان يعتز بأن لسانه هو لسان بني سعد ، وأنه كان يرفع الغنم عندهم. وأن هذه المدة قد تركت أثرا في نفسه وجعلته يشعر تجاه مرضعته وأبنائها كأنه منهم

وبعد عودته (ﷺ) إلى أهله في مكة عاش مع والدته بحوالي سنة واحدة ، ثم توفيت ، فانتقل إلى بيت جده عبد المطلب الذي أهتم به كثيرا ليعوضه حنان والديه . وحين حضرت وفاة عبد المطلب أوصى ابنه أبا طالب برعايته ، فانتقل محمد (ﷺ) إلى بيت عمه أبي طالب فعاش في كنفه مع أفراد أسرته . وروي أن أبا طالب خرج بتجارة إلى الشام في إحدى القوافل ، فاصطحب محمدا معه وكان عمره آنذاك تسع سنين وقيل اثنا عشرة سنة . وقد عمل النبي (ﷺ) عمه آنذاك في رعي الأغنام المساعدة أبا طالب الذي . كان كثير العيال . وعندما بلغ (ﷺ) مرحلة الشباب بحث عن عمل يناسبه فجاء توجهه نحو التجارة . وحين بلغ (٢٥) سنة ) عمل مع خديجة في التجارة ، ولما علمت من صدقه وحرصه على مالها وتجارته ضاعفت له العطاء وبعد ذلك تزوج (ﷺ) من هذه المرأة الطيبة السمعة ، فهي من صميم قبيلة قريش فهي : ( خديجة بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ) . وكانت خديجة قد تزوجت قبل ذلك من رجلين ووصفت المصادر التاريخية خديجة بأنها أوسط نساء قريش نسبا ، وأعظمهم شرفاً .

وأكثرهم مالاً ، وتضاربت الروايات بين عمره (ﷺ) وبين عمر خديجة وقت زواجهما فأشارت بعضها إلى أن عمر النبي (ﷺ) كان (٢٥) سنة ) ، أما عمرها فكان (٤٠ سنة)، في حين أشارت أخرى إلى ن عمره كان (٢٣) سنة أما عمرها فكان (٢٨) سنة ) . وعلى ما يبدو أن عمر أم المؤمنين خديجة الكبرى حين زواجها من الرسول (ﷺ) كان أقل من (٤٠) سنة ) لأنها أنجبت منه سبعة أولاد هم كل من : القاسم ، وعبد الله والذين توفوا . أما من البنات فأنجبت له زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة . أما ولده إبراهيم فلم يكن من وهم صغار خديجة ؛ بل من أم المؤمنين مارية القبطية بعد هجرته إلى المدينة.

لم تزودنا المصادر بمعلومات عن حياته (ﷺ) منذ زواجه من خديجة حتى السنة الخامسة قبل البعثة ، إذ وقع في هذه السنة خصام شديد بين عشائر مكة كل منهم يريد أن يكون له الشرف في وضع الحجر الأسود مكانه ، فمكثت قريش أربع ليالٍ أو خمسا دون حل للمشكلة ، ثم اجتمعوا واتفقوا على أن يجعلوا أول من يدخل عليهم من باب المسجد حكما بينهم ، فكان محمد (ﷺ) أول من يدخل عليهم فلما رأوه قالوا هذا الأمين فرفضوا به ، فقال هلموا ثوبا فوضع الركن فيه بيده ، ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم رفعوه جميعا حتى بلغوا موضعه ، فوضعه (ﷺ) بيده ثم بني عليه . وهكذا ارتفعت مكانة النبي (ﷺ) بين أبناء عشيرته ؛ لا بل في مكة بأسرها لحكمة وحسن تصرفه في حل المشكلة الصعبة.

**حياة محمد بن عبد الله قبل البعثة :**

كان زواجه (ﷺ) من خديجة من أهم العوامل التي أثرت في حياته وتوجيهاته الروحية . والجانب الأهم هو علاقة القرابة التي تربط خديجة بابني عمها ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وهما من الذين عرفوا برفض عبادة الأصنام . ويبدو من بعض الروايات أنه (ﷺ) كان على علاقة جيدة بأولئك النفر الذين امنوا بالحنيفية ، وهم أتباع إبراهيم (ع) والذين رفضوا عبادة الأصنام ، وأمنوا بالبعث بعد الموت وراحوا يبحثون عن الحق . وقد سعى هؤلاء الأحناف البحث عن الحق والاتصال بأصحاب الكتب السماوية من يهود ونصارى ، ولم يكن محمد بن عبد الله بعيدا عما كانوا يفكرون به ، واستمر في بحثه عن دين الحق دين إبراهيم الخليل (ع) ، قال تعالى : " قل أنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين " الأنعام ١٦١ . وقال : " ألم يجدك يتيماً فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى " . ومن هذه الآيات نستدل على أن النبي ( ) لم يسر على دين آباءه وأجداده الذين أشركوا بالله تعالى ، بل على ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً ولم يكن من المشركين.

### نزول الوحي :

الوحي كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه ، قال تعالى : " إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده النساء ١٦٣ . وقد ذكر ابن إسحاق أن أول مرة جاء بها جبريل إلى النبي (ﷺ) كان في المنام . بيد أن العديد من المصادر التاريخية أشارت إلى مسألة الوحي دون أن تذكر حالة النوم . ويبدو أن أهمية هذا الخلاف ليست كبيرة لأن جميع الروايات تسلم بأن رؤى الرسول (ﷺ) حق ، وأن الوحي كان يأتيه في المنام كما يأتيه في اليقظة .

وذكر أنه (ﷺ) قد أصابه اضطراب وقلق من جراء رؤية الوحي وقد صرح زوجته خديجة بمسألته، فذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل فقصت عليه الخبر فأجابها بقوله : " قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة ، إنه لنبي هذه الأمة ، وإنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى (ع) فقولي له فليثبت . " وهكذا قبل الرسول (ﷺ) حقيقة نزول الوحي الذي كان أول ما جاء به (اقرأ) .

### الدعوة الإسلامية في موطنها الأول ( مكة ) :

قسم الباحثون الدعوة الإسلامية في عصر الرسالة إلى عهدين متميزين هما :

1- **العهد المكي** يبدأ بنزول الوحي على محمد (ﷺ) عام ٦٠٩ م ، وينتهي بالهجرة المباركة إلى

المدينة عام ٦٢٢ م ، وكانت هذه المرحلة ١٣ سنة ،

٢ - **العهد المدني** بدأ من تاريخ وصوله ( ) للمدينة عام ٦٢٢ م وينتهي بوفاته (ﷺ) سنة ٦٣٢ م ، وكانت مدته ١٠ أعوام .

وما يخص العهد المكي فقد قسمه الباحثون المرهلتين رئيسيتين هما :

١ - **المرحلة السرية** وفيها كانت الدعوة إلى الإسلام سرية ، بدأت بنزول الوحي وانتهت بعد ذلك بثلاث سنين (٦٠٩ - ٦١٢ م).

ب- **المرحلة العلنية** : هي مرحلة إعلان الدعوة التي قام بها النبي (ﷺ) وأصحابه الكرام

وبدأت من عام ٦١٢ م حتى الهجرة إلى المدينة عام ٦٢٢ م .

وكان نزول الوحي على النبي (ﷺ) في غار حراء بمثابة إعلان لتثبيت ثلاثة أركان مهمة في العقيدة الإسلامية هي :

١ - الإيمان بالله تعالى وقدرته

٢ - الإيمان بالرسول (ﷺ) ، وان العناية الالهية هي من اصطفته من بين البشر ليكون رسول الله الى الناس الإقرار بدور الملائكة ( جبريل ) في مسألة الوحي .

لهذا كانت السور الأولى في دور المرحلة السرية تركز الاهتمام بتوضيح عقيدة المسلمين في الله تعالى وما يجب عليهم من إخلاص عبادتهم الله ، فضلا عن توضيح مسألة البعث بعد الموت وما يتعلق بها من ثواب أو عقاب .

والملاحظ أن مسألة الإيمان بوجود الله تعالى كانت من الأمور المسلم بها عند المشركين لا تحتاج إلى برهان ، قال تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون " العنكبوت ٦١ .

أما مسألة توحيد الألوهية لله تعالى ومسألة البعث بعد الموت فهي ما أنكرها المشركون كما أكدت ذلك آيات قرآنية منها قوله تعالى : " أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ {5} " سورة ص ، وقال تعالى : " ما نعبدهم إلا ليقربنا إلى الله زلفى " الزمر 3 ، وقال : " وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين " الانعام ٢٩ ، " وأقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله النحل (٣٨) أما العبادات التي فرضها الله تعالى في مرحلة سرية الدعوة فهي الصلاة وقيام الليل والزكاة ، قال تعالى : " قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلي " ، وقال : " يأيتها المزملة قم الليل إلا قليلا نصفه أو أنقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا إنا سنلقي من يموت عليك قولا ثقيلا " المزملة (0-1)

سرية الدعوة والمؤمنون الأوائل :

الملاحظ على هذه السرية أنها لم تكن مطلقة ، إذ أن مشركي مكة كانوا على دراية بتحركات الرسول (( وأتباعه بصورة عامة ، لهذا كان هناك نوع من التآني والحذر وعدم مخاطبة الناس علناً ، بل اقتصر على الأشخاص الذين يتوسم فيهم الخير . واستمرت هذه المرحلة ثلاث سنوات واتفقت المصادر على أن أول من آمن بمحمد (ﷺ) زوجته خديجة ، واختلفت في ترتيب الثلاثة الذين آمنوا بعد ذلك وهم كل من علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة وأبي بكر الصديق . ومهما يكن من أمر فإن إسلام هؤلاء كان في أوقات متقاربة ...

وقد أورد ابن إسحاق حديثاً عن النبي (ﷺ) بقوله : " ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له كبوة وتردد ونظر ، إلا أبا بكر : ما عتم حين ذكرته له وما تردد عنه " . وعزا ابن كثير ذلك إلى أن أبا بكر كان صاحب رسول الله (ﷺ) قبل البعثة وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق ، فكيف يكذب على الله ؟ " .

ثم أن أبا بكر أخذ يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه فأسلم على يده كما يذكر ابن إسحاق الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد

الرحمن بن عوف وغيرهم

ومهما يكن من أمر أخذ الإسلام ينتشر بين الناس في هذه المرحلة على يد الرعيل الأول من المؤمنين حتى وصل نهاية المرحلة السرية (٥٢) مسلماً ومسلمة ، وهم من عشائر مختلفة من مكة جلهم من الشباب الذين لم تتجاوز أعمار معظمهم (٣٠) عاماً ، وكانوا من الرجال والنساء والأحرار والعبيد ، ومن فئة التجار المتوسطين أو أبناءهم ، لا بل أن أبناء كبار تجار

مكة كانوا من بين هؤلاء الثلة المباركة مثل خالد بن سعيد بن العاص .

ويبدو أن النبي (ﷺ) قد اتخذ في هذه المرحلة من دار الأرقم بن أبي الأرقم مقراً للدعوة إلى الإسلام ، وهي دار عند الصفا قرب المسجد الحرام يتوارى فيها النبي (ﷺ) عن أعين المشركين ليجتمع بأصحابه ويقرئهم القرآن ويعلمهم فيه . ولعل السبب الذي حدا بالرسول (ﷺ) في اختيار هذه الدار مقراً لنشاطه في مكة هو قربها من المسجد الحرام وقوة عشيرته التي تضمن له الحماية ، فضلاً عن كون الأرقم بن عبد مناف بن اسد مناف شاباً دون العشرين من العمر ومن المحتمل انه كان رئيساً لعائلته.

### علنية الدعوة ومقاومة المشركين لها :

على مدى ثلاث سنوات واصلت الدعوة انتشارها بين أفراد قبيلة قريش فلم تبقى عشيرة في مكة إلا وقد وجد الإسلام بين أفرادها من يؤمن به ، وبعدها أخذت الدعوة منحا آخر وهو لم تعد ضرورية ، فأمر الله تعالى نبيه (ﷺ) بإعلان الدعوة العلنية لأن السرية وهي الحذر (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) .

وكان موقف المشركين من الرسول (ﷺ) ودعوته تتسم بالبرود وبنوع من السخرية وعدم الرضا ، فكانوا إذا مر عليهم يسخروا منه فأمر الله تعالى الإعراض عن المشركين " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ { ٩٥ } الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَصِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) " الحجر وهكذا زادت حدة المواجهة بين الرسول (ﷺ) وزعماء المشركين ، وبدأ القرآن يذم عقيدتهم في عبادة الأصنام ، فشعر المشركون بخطر الدعوة عليهم ، فعزموا التصدي للإسلام و المسلمين

### عوامل مقاومة المشركين للدعوة الإسلامية:

١- العامل الاقتصادي : أدرك زعماء قريش أن تخليهم عن الشرك وعبادة الأصنام هو بمثابة تقويض الأسس التي قام عليها إيلاف قريش ) وهو ما يدخلهم في صراع مستمر مع القبائل العربية المشركة ، قال الله تعالى على لسانهم : " وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا " القصص ٥٧

٢- العامل الاجتماعي : عد المشركون تعاليم الدين الإسلامي خطراً على نظامهم الاجتماعي الذي يقوم على احترام النظام القبلي لتقاليد الآباء والأجداد " بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون الزخرف ٢٢ . كما عدوا خروج المسلمين عن إرادة عشائرتهم لأنها لا تقوم على أعرافهم الا تقوم على فكرة الوحي الالهي ، وبقيادة مستقلة عن الملأ المكي وهي قيادة محمد بن عبد الله (ﷺ) ، فضلاً عن أن معيار التفاضل بين الناس في الإسلام والعمل هي التقوى والصلاح : فهم سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا عبد وحر إلا بالتقوى ، وهذا خطر كبير عده المشركون نهاية نفوذهم ونظامهم الاجتماعي الذي يقوم على أساس الأقوى والأكثر أموالاً وأولاداً ، " وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ { ٣٥ } " سبا

٣- العامل السياسي : أن دعوة الإسلام إلى طاعة الله ورسوله هي بمثابة تهديد قوي للزعامة القبلية في مكة ، إذ أنهم رأوا أن انتشار الإسلام ينقل القيادة من بين أيدي أسياها إلى الرسول (ﷺ) ، لذلك كان هذا دافعا قويا في

رفض زعماء المشركين لدعوة الإسلام ، فراحوا يسخرون منه ( ) " وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخْذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا { ٤١ } " الفرقان ، " وقال الله تعالى : " وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ { ٣١ } " الزخرف

الوليد بن المغيرة - عروة بن مسعود الثقافي .

حماية بني هاشم وبني عبد المطلب للرسول (ﷺ) :

إن اجتماع زعماء قريش على معارضة الدعوة وتهديدهم للرسول (ﷺ) بالأذى حمل عمه أبو طالب الذي كان رئيسا لعشيرته على الدفاع عن ابن أخيه وحمايته على الرغم من أنه كان دين قومه . ثم أنه دعا بني هاشم إلى ما هو عليه من حماية للنبي (ﷺ) فأجابوه إلى ذلك ، على إلا أبو لهب

أن من أسباب تأخر إسلام غالبية بني هاشم وبني عبد المطلب كان لاعتبارات سياسية تتعلق بحرصهم على عدم تدهور علاقاتهم ببقية العشائر المكية حتى ينتشر الإسلام في ظل حمايتهم ، وهذا ما عبر عنه ابن كثير بحديثه

عن أبي طالب من انه أستمر على دين قومه من حكمة الله تعالى ، ومما يصنعه للرسول (ﷺ) من حماية ، إذ لو كان أسلم لما كانت له تلك ، و لطالته أيديهم وأسننتهم .

المكانة عند المشركين

وأشارت المصادر إلى أن زعماء الشرك هم من تولى المعارضة لدعوة الإسلام . وقد حاول هؤلاء إقناع أبي طالب التخلي عن حمايته لمحمد (ﷺ) ، مقابل تعويضه بإعطائه شاب من خيرة شبابهم وهو عمارة بن الوليد بن المغيرة ، إلا أن أبا طالب رفض عرضهم وأستمر على موقفه في حمايته لأبن أخيه (

وإذا كان زعماء الشرك قد عجزوا عن حمل بني هاشم وبني عبد المطلب بالضغط على الرسول (ﷺ) ومن امن معه للتخلي عن الدعوة ، بيد أنه كان من اليسير عليهم الضغط على أبناء عشائهم وحلفائهم الذين اعتنقوا الإسلام . وقد كان ذلك الضغط على المسلمين يتفاوت بحسب منزلتهم الاجتماعية في قومهم. ومن أساليب ضغط المشركين على المسلمين :

١ - الضغط الاجتماعي والاقتصادي .

٢ - الضرب والتعذيب وأكثر ما أعتد هذا الأسلوب على العبيد

وعلى ما يبدو أن المسلمين من بني هاشم وبني عبد المطلب وبقية العشائر المتحالفة معهم في حلف الفضول ، لم يتعرضوا للأذى والضغط الاجتماعي من أجل ترك دينهم مثلما تعرض له الذين ينتمون إلى العشائر الأخرى .

وكان الصراع المشركين مع المسلمين أبعاد عقائدية منها توحيد الألوهية الله تعالى (لا إله إلا الله ) أي لا معبود بحق إلا الله في الدعاء والرجاء والخوف ... الخ . فكانت عقيدة الشرك تقوم على عكس هذا المبدأ ، أي أنهم عطلوا بعباداتهم توحيد الألوهية الله تعالى فجعلوا له يتعلق بها أندادا من أصنام صنعوها بأيديهم ، فضلا عن عدم إيمانهم بعقيدة ما بعد الموت وما : من جزاء وعقاب ، وزد على ذلك انكسار هم بمسألة الوحي على محمد بن عبد الله (ﷺ) .

**الهجرة إلى الحبشة :**

بعد أن زاد أذى المشركين للمسلمين أمرهم الرسول ( ) بالهجرة إلى الحبشة ، وقال لهم ان فيها ملكا لا يظلم الناس ببلاده . فهاجر رجال من أصحابه إليها مخافة الفتنة وفروا إلى الله بدينهم .

ومن هنا يتضح أن دوافع الهجرة كانت بسبب اضطهاد المشركين الشديد للمسلمين ، فخاف النبي (ﷺ) عليهم من الفتنة وهي الإكراه في الدين ومن ثم الردة عن الإسلام ، فضلا عن تخليصهم من الضغط الاقتصادي الذي فرضه تجار مكة ، وبالتالي تضيق الخناق على تجارة مكة التي كانت الحبشة أحد الأقطار المهمة التي تتجه إليها تجارتهم.

وهكذا بدأت هجرة المسلمين إلى الحبشة بناءً على أوامر الرسول (ﷺ) في شهر رجب / السنة الخامسة من البعثة الشريفة ، فخرجوا متسللين سرا وبنحو تدريجي بهيئة مجاميع صغيرة وبمراحل استمرت سنوات عدة . ومهما يكن من أمر فإن عدد من هاجر إلى الحبشة كان بحوالي (٨٣) رجلا و (١٨) امرأة عدا الأطفال ، وبهذا يزيد عددهم عن المائة .



## المقاطعة الاجتماعية والاقتصادية لبني هاشم لسنة ٧ للبعثة.

تشكل مقاطعة قريش لبني هاشم إحدى حلقات الصراع بين المشركين وبين محمد بن عبد الله ( ). فقد سعى زعماء الشرك إلى إقناع أبي طالب للتخلي عن ابن أخيه ، إلا أن أبا طالب وعشيرته رفضوا ذلك الأمر ، فاجتمع أمرهم على أن يدخلوا محمدا (ﷺ) شعبهم ويمنعونهم مما أرادوا ، واتفق على هذا الرأي مسلم بني هاشم وكافرهم . وبهذا أصبح الرسول (ﷺ) بمأمن من أذى قومه ، ولم تبدأ مقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبد المطلب بعد دخول النبي (ﷺ) شعب أبي طالب مباشرة ، وإنما استمرت العلاقات بين الطرفين على وضعها السابق إلى أن عاد عمرو بن العاص من الحبشة واخبر قريشا بأن المسلمين وجدوا لهم موطنا آمنا هناك ، فكبر الأمر بعد ذلك على قريش وغضبوا على الرسول (ﷺ) وأتباعه ، فاجمعوا على قتله ، وكتبوا لبني هاشم ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم .

وبهذا اتفقت جميع العشائر المكية على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب اجتماعيا واقتصاديا حتى يتخلوا عن الرسول (ﷺ) ، ولم يستثنى من هذه المقاطعة سوى أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ( لأنه بما تنقر يشا على عشيرته ومن ثم علقت صحيفة المقاطعة في جوف الكعبة واستمرت هذه المقاطعة ثلاث سنوات ، حوصر فيها بني هاشم في شعب أبي طالب باستثناء أبو لهب .

وحينما أشدت تهديد المشركين للرسول (ﷺ) بالقتل طلب أبو طالب من ابن أخيه الانتقال من بيت زوجته خديجة الا الله إلى الشعب حيث منزل والده عبد الله بن عبد المطلب . وأجمعت المصادر التاريخية أن هذه المقاطعة كانت شديدة على عشيرة الرسول (ﷺ) وأهله لأنها شملت كل الأصعدة من اقتصادية واجتماعية وسياسية ، حتى يرغموهم التخلي عن حماية الرسول (ﷺ) ، أن مما تقدم من مقاطعة المشركين لبني هاشم وبني عبد المطلب قد أنفدت ما لديهم من مؤونة ، وأخذت آثار الفاقة والجوع تهدد القوم الذين بلغوا من ذلك جهدا شديدا

وهكذا قاس النبي (ﷺ) ومن معه محنة شديدة مدة ثلاث سنوات ، ومع ذلك كان (ﷺ) مستمرا في دعوته الله تعالى ، إذ دعا قومه سرا وعلانية ، أثناء الليل والنهار ، والوحي عليه متتابع . وكان ( ) شديد الحرص في هذه المرحلة الصعبة على كسب بعض زعماء قريش لصفه ، إذ طمع بإسلام الوليد فوقف يكلمه ، فمر عليه ابن أم مكتوم الأعمى فكلم رسول الله (ﷺ) وجعل يستقرئه القرآن ، فعبس النبي (ﷺ) وتركه رجاء إسلام الوليد ، فانزل الله تعالى : " عَبَسَ وَتَوَلَّى {1} أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يُرْجَى {٣} . . . " عبس .

أما نهاية فترة المقاطعة فذكر عروة بن الزبير أنه لما كان ثلاث سنوات على المقاطعة تلاوم رجال من بني عبد مناف ورجال من بني قصي ورجال ممن سواهم ، وذكروا الذي وقعوا فيه من القطيعة فاجمعوا أمرهم على نقض ما تعاهدوا عليه والبراءة منه ، كما ذكر ابن إسحاق انه عندما تقرر نقض الصحيفة قام المطعم بن عدي إلى الصحيفة فشققها ، فوجد الأربعة قد أكلتها إلا باسمك اللهم ) ، وهكذا انمحت وانتهت تلك الفترة القاسية على الرسول (ﷺ) وأبناء عشيرته من المسلمين وغيرهم .

بعد انتهاء فترة المقاطعة ووفاة خديجة (رض) زوج النبي (ﷺ) ، ووفاة عمه أبو طالب زادت الصعوبات على الرسول (ﷺ) ، إذ لم يعد هناك من يسنده ويحميه في مكة ، فأصبح من الضروري البحث عن موطن آخر للدعوة ، فكانت وجهة النبي (ﷺ) نحو الطائف التي تكثر فيها البساتين والمزارع . وكان سكانها يتألفون من عشيرتين بارزتين هما بنو مالك والأحلاف .

ومن الأسباب التي دفعت النبي (ﷺ) للتفكير بنشر دعوته في هذه المدينة هي الروابط الوثيقة التي تربط أهلها مع أهل مكة اقتصاديا وسياسيا ودينيا . وربما أن محمدا (ﷺ) قدر أن بعض أهل الطائف شعروا باستغلال أغنياء مكة لهم ويطمحون التخلص من ذلك النفوذ ، الأمر الذي قد يدفعهم للتعاون معه ( ) أو الإيمان به ، وحال وصوله الطائف لم يدع أحدا منهم إلا ودعاه إلى الإسلام خاصة أشرفهم وأعمدتهم ، إلا أنهم لم يجيبوه وعمدوا الإساءة إليه فغرروا سفهائهم وعبدهم يضرّبونه ويسبونونه بوحشية حتى أدموا وجهه الشريف

إن عدم اكتساب الرسول (ﷺ) النصر من أهل الطائف ترتب عليها آثارا سلبية وهو أن عشيرته في مكة عدت هجرته إلى الطائف انخلاء أو تخليا عن حماية عشيرته ، لهذا أصبح أمر عودته إلى مكة خطيرا جدا ، فبحث (ﷺ) عن شخص قوي يدخل بحمايته أو بجواره مكة ، فأماره (المطعم بن عدى) وبنوه فأدخلوه مكة وأقام فيها ، بيد أن مركزه (ﷺ) غدا ضعيفا لأن عشيرته عدوه بمنزلة المولى أو الحليف بعد أن كان ابن عشيرة صميم فزاد أذى قومه عليه .

وبعدها أخذ النبي (ﷺ) يعرض دعوته على القبائل العربية التي كانت تقصد مكة في الأشهر الحرم ومنها موسم الحج ، إلا أنه لم يجبه أحد وسبب ذلك على الأغلب هو تكذيب قومه له وتحذيرهم أبناء تلك القبائل منه . ومع ذلك فقد أجاب الرسول (ﷺ) لدعوته رجال من يثرب .

إن الانقسامات الحادة في المجتمع اليثربي بين الأوس والخزرج ، والتحدي العقائدي بوجود اليهود بينهم كان دافعا قويا لهم في البحث عن علاج جذري لحل تلك المشاكل . وهذا الوضع في يثرب لم يكن غائبا عن فكره (ﷺ) ما دفعه إلى محاورة أهل يثرب وعرض الإسلام عليهم في مواسم الحج وفي إحدى تلك المواسم أجمع النبي الكريم (ﷺ) مع نفر من الخزرج فدعاهم لدين الله في موضع يسمى بـ (العقبة) فأجابوه وآمنوا به ثم رجعوا إلى ديارهم . وكان عدد هذا نفر ستة أشخاص واعدا النبي (ﷺ) بدعوة قومهم للإسلام وأن يمهّدوا الطريقاً لهجرته (ﷺ) إلى يثرب وتسليمه القيادة والإدارة .

### بيعة العقبة الأولى

تمثل بيعة العقبة الأولى خطوة متقدمة في التزام أهل يثرب ( المدينة ) بالإسلام وعزمهم تسليم قيادتهم بيد النبي (ﷺ) ، فبعد استجابة الكثير من أهل المدينة للدعوة بعد عودة نفر الستة لم يبق دار من دور الأنصار إلا وذكر فيها أسم محمد (ﷺ) وتوجه إلى مكة في موسم الحج من السنة الثانية عشر من البعثة / ٦٢١م ، اثنا عشر رجلا من أهل المدينة من ضمنهم خمسة من ، أما البقية فكانوا من نفر الذين قابلوا الرسول ( ﺍ ) في العام السابق ، اثنان منهم من الأوس الخزرج . وبهذا نجحت الدعوة في جمع القبيلتين المتضادتين على الإسلام وترك اسباب العدا .

التقى هؤلاء الرجال بالرسول (ﷺ) في موضع العقبة فبايعوه على الالتزام بمبادئ الإسلام . وعرفت هذه البيعة بـ (بيعة العقبة الأولى) . وبعد مغادرة هؤلاء الرجال مكة وعودتهم ديارهم أرسل النبي ( ) مصعب بن عمير ليقرأهم القرآن ويعلمهم الإسلام .

وقد حرص مصعب (رض) على نشر الدعوة بين أفراد قبيلة الأوس بصورة خاصة ، لأن معظم من أسلم كانوا من الخزرج لذلك ركز جهوده على أبناء قبيلة الأوس لكسبهم إلى جانب الدعوة وبالتالي توحيد صف أهل المدينة . ومع ذلك فإن هذا النشاط لم يحظ بتأييد زعماء الأوس لأنهم كانوا لا يزالون على الشرك ، فراعى مصعب في نشاطه هذا الحذر والسرية إلى أن أستطاع كسب بعض رجالهم كأسيد بن حضير وسعد بن معاذ ، وقد ترتب على إسلام سعد بن معاذ أن أسلم جميع بني عبد الأشهل . وهكذا أنتقل مصعب بن عمير

بالدعوة من السرية إلى العلنية فأمن كثير من الناس على يديه بما فيهم أشرفهم فكسرت الأصنام وأصبح المسلمون أعز أهل المدينة وأصلح أمرا .

### بيعة العقبة الثانية : بيعة الحرب ( وسميت بيعة الحرب )

في العام الثالثة عشر من البعثة المباركة ٦٢٢م ذهب عدد من المسلمين من أهل المدينة إلى مكة مع قومهم لأداء الحج ، وذكر أن عددهم كان ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين فقابلوا رسول الله (ﷺ) وتواعدوا الاجتماع عند العقبة بعد أداء مناسك الحج وأمرهم بالسرية والتكتم في ذلك الأمر .

وعندما حان وقت الاجتماع ومضى ثلث الليل ، خرج الأنصار متسللين لحضور الاجتماع مع النبي (ﷺ) والذي كان قد سبقهم إلى مكان الاجتماع بصحبة عمه العباس بن عبد المطلب على الرغم من كونه لا يزال مشركا ، إلا أن حضور العباس ذلك الاجتماع يقوي مركز النبي (ﷺ) أمام الأنصار أمام الأنصار ولا يبدو رجلا وحيدا تخلى عنه قومه وعشيرته في تلك الانتماآت وزنا ثقيلًا.

وبدأ الاجتماع بخطاب القاه العباس على الحضور أكد فيه أن محمدا من قريش وهو في مترو منحة من قومه وبلده غير انه أبى الا الانحياز اليكم طلب ( قطلب العباس منهم . أن كانوا وافون لما دعوه إليه ومانعوه ممن خالفه فأمضوا في أمركم ، وإلا فدعوه فانه في عز ومنعه من قومه وبلده .

وبعدها تكلم الرسول (ﷺ) فتلا عليهم القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ، ثم قال أبايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساؤكم وأبناؤكم ، فبايعوا على ذلك . وبهذا تمت بيعة العقبة الثانية بتعهد الأنصار حماية الرسول (ﷺ) حينما يصل مدينتهم والدفاع عنه كما يدافعون عن أنفسهم ، وفي المقابل عد النبي نفسه واحدا منهم .

ثم طلب رسول الله (ﷺ) منهم بعد البيعة أن يخرجوا له اثنا عشر نقيبا يكونوا كفلاء على قومهم ، وأن يكون هو كفيلا على المسلمين من قومه في مكة . فأخرجوا له تسعة نقباء من الخزرج وثلاثة من الأوس لأن عدد الخزرج بين الأنصار كان أكبر من عدد الأوس .

أن بيعة العقبة الثانية كانت بداية النهاية للمرحلة المكية من الدعوة التي أتسمت بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالأحسن ، فشكلت هذه البيعة بداية أسلوب جديد يمكن ان يسمح باستخدام القوة واللجوء إلى الحرب في مجاهدة العدو.

### الهجرة إلى المدينة :

بعد أن تمت بيعة العقبة الثانية شجع النبي (ﷺ) أصحابه المكيين الهجرة إلى المدينة قبل هجرته إليها وذلك لتوجيه عملية الهجرة والاطمئنان على وصولهم بسلام . فخرج المهاجرون ارسالا - جماعة بأثر جماعة - ، وأحاطوا أمر هجرتهم ومغادرتهم مكة بالسرية حتى لا تثار حفيظة قريش وتمنعهم الخروج ، إلا أن الحفاظ على سرية الهجرة في مدينة صغيرة مثل مكة كان أمرا صعبا خاصة أن بعض الأسر قد هاجرت بأكملها وأغلقت بيوتها . وحاولت بعض الأسر منع أبنائها من الهجرة بالقوة ، كما ومارس زعماء الشرك الضغط على المستضعفين من المسلمين ومنعهم الهجرة . وعلى الرغم من كل هذا هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة وكان عدد المهاجرين سبعين (٧٠) ، ولم يبق في مكة من المسلمين إلا من حبس أو فتن في دينه.

### هجرة الرسول (ﷺ) إلى المدينة :

بعد أن هاجر المسلمون إلى المدينة لم يبق بمكة سوى الرسول (ﷺ) وعلي بن أبي طالب وأبي بكر الصديق اسلام. وقد أدرك زعماء الشرك مخاطر نجاح الهجرة على مصالحهم الاقتصادية والسياسية والدينية . لذلك عقدوا اجتماعا في دار الندوة وتداولوا فيه مسألة الرسول محمد (ﷺ) ، فاستقر رأيهم الأخير على قتله، استنادا إلى خطة اقترحها أبو جهل والتي تتلخص باختيار فتى جلدنا نسيبا ووسيطا من كل قبيلة يعمدوا على ضرب النبي (ﷺ) ضربة رجل واحد فيقتلوه ، وبذلك يتفرق دمه بين القبائل.

وذكرت المصادر التاريخية أنه (ﷺ) عرف بهذه الخطة ، وأشار القرآن الكريم إليها بقوله : "وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكر الله والله خير الماكرين " الأنفال ٣٠ . وعليه سارع النبي (ﷺ) إلى إعداد خطة الهجرة بسرية . وقامت هذه الخطة على تكليف علي بن أبي طالب الله الله المبيت في فراش النبي (ﷺ) ليوهم المشركين بأنه رضي ما زال في داره ليلة الهجرة .

وقام أبو بكر الصديق ( بشراء راكبتين للسفر وأستأجر دليلًا لهما في الصحراء وهو ( عبد الله بن أريقط ) ، وتولى أبو بكر مع صاحبه ( ) وضع خطة مغادرة مكة وتأمين وصول الطعام إليهما بطريقة آمنة . وقد خرج محمد بن عبد الله ( ) وصاحبه الصديق بسرية إلى غار نور بجبل ثور وتواعد مع دليلهما أن يلقاهما هناك بعد ثلاث ليال . وقد دعا (ﷺ) بعد خروجه من مكة وقال : " والله إنك لخير أرض الله، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت " رواه الترمذي

وبعد ذلك خرج المشركون يفتنون أثر النبي ( ﺍ ) وصاحبه ، وأعلنوا في نواديهم أن لكل من يأتي بمحمد (ﷺ) حيا أو ميتا مئة ناقة . فبلغ المشركون جبل ثور ومروا بالغار فرأوا على بابه نسيج العنكبوت وهو من جند الله تعالى التي نصر بها نبيه " وما يعلم جنود ربك إلا هو " المدثر ٣١. وقد جاء في الصحيحين من حديث أنس عن أبي بكر (الله) قال: " نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار ، فقلت : يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصرنا ، فقال : " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ " . ولما نئست قريش من العثور عليهما وخف سعيهم ، خرج النبي وصاحبه من الغار سالكين طريقا غير الطريق المعتاد الذي كان يسلك الوديان والسهول وصادف أن التقى بهما أحد المشركين وهو (سراقة بن مالك بن جعشم ، إلا أن النبي (ﷺ) أمره بالرجوع وواعد بسواري كسريل، فرجع بأذن من الله تعالى مدافعا عن النبي (ﷺ) بعد أن جهد نفسه في سبيل القبض عليه والظفر بالجائزة الكبرى والمغرية جدا . واستغرقت الرحلة المباركة منذ خروجهما من مكة حتى وصولهما المدينة ثمانية أيام.

وكان وصوله (ﷺ) المدينة بمثابة عيد للمسلمين ، إذ خرج الرجال والنساء والأطفال مرحبين بمقدمه ومسرورين به، فلبس الناس أحسن ملابسهم وكان ذلك يوم عزة للمسلمين خرجوا به أنطاق الضيق والفقر في مكة إلى نطاق الانطلاق والانتشار والعزة ، وهكذا كان ميم موقف | هل المدينة من الرسول (ﷺ) على النحو الآتي :

- 1 - المسلمون من الأوس الخزرج كان ولاؤهم للرسول (( كاملا بحكم إيمانهم به ومبايعتهم له.
- 2- المشركون من الأوس الخزرج كان موقفهم يقوم على التضامن مع قومهم من المسلمين استنادا إلى الأعراف والتقاليد العربية .
- 3- اليهود من بني قينقاع والنظير وبني قريظة وغيرهم ، إذ كانوا حلفاء للأوس والخزرج ، ومن ثم كانوا ملزمين باحترام العهود التي عقدت بينهم.

وهكذا تمت الهجرة المباركة بنجاح وانتقل المسلمون إلى طور جديد هو طور الدولة والتنظيم والأمة التي قادها الرسول (ﷺ) .

### نشأة سلطة الرسول (ﷺ) في المدينة :

لم يشهد أهل المدينة قبل هجرة الرسول (ﷺ) إليها سلطة مركزية تدير أمورهم ، وذلك بسبب انقسام أهل المدينة إلى خمس قبائل اثنان منها عربية وثلاث يهودية . ولذلك كانت حدة المنافسة بينهم كثيرا ما تقود إلى حروب وصدامات مسلحة كان آخرها حرب بعثت إن بداية سلطة الرسول (ﷺ) في المدينة كانت روحية تقوم على إيمانهم بأنه رسول الله إلى الناس ، ومن ثم يجب عليهم الاستسلام لما يأتيهم به من أوامر وتوجيهات من الله تعالى ولا يجوز مخالفتها ، قال الله تعالى : " وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله " سورة النساء ٦٤

وقال: " يطع الرسول فقد أطاع الله " سورة النساء (٨)

وقد أثبتت بيعة العقبة الثانية سلطة الرسول (ﷺ) السياسية على من أسلم من أهل المدينة ، إذ أعلن المبايعون فيها من أهل المدينة استعدادهم لطاعة الرسول (ﷺ) وتعهدهم حمايته والدفاع عنه في مدينتهم . وبهذا أصبح للرسول (ﷺ) بعد هذه البيعة قيادة سياسية بامتثال جميع الأنصار بما فيهم بعض رؤساء الأسر والعشائر من قبيلتي الأوس والخزرج من أمثال سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وغيرهم.

### تنظيمات الرسول (ﷺ) وأعماله في المدينة

#### 1 - إزالة أسباب العداء بين الأوس والخزرج

#### 2- تأسيس مسجد قباء :

تقع قباء على مشارف المدينة ، إذ نزلها النبي (ﷺ) قبل توجهه إلى المدينة لنواح احترازية ، وقام فيها ببناء مسجد صلى فيه وهو المسجد الذي أسس على التقوى كما أشار القرآن الكريم إليه .

#### 3- بناء مسجد المدينة ومساكن الرسول (ﷺ)

تنافست عشائر المدينة على استضافة النبي (ﷺ) بعد مغادرته قباء وتوجهه إلى المدينة ، بيد أن الرسول (ﷺ) تعذر منهم بقوله : " خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة " . وأخيرا بركت يعتذر الناقة في الموضع الذي شيد فيه مسجد النبي (ﷺ) وحجرات زوجاته، وكان مربدا لغلامين يتيمين من بني النجار ، أتباعه منهما رسول الله (ﷺ) بعشرة دنانير

وقد تم بناء جدران المسجد باللبن ، أما أعمدته فمن جذوع النخيل وسقف بجريده وكانت مساحته ١٠٠×١٠٠ ذراع مربع ، وجهت قبلته نحو بيت المقدس قبله المسلمين آنذاك. ومن ثم بنى (ﷺ) حجرات زوجاته بجانب المسجد وهي عبارة عن غرف صغيرة بنيت من نفس مادة بناء المسجد ، ويلاحظ ان الرسول الله (ﷺ) قد جعل مساكنه متصلة بالمسجد بحيث يخرج من بيته الى المسجد مباشرة، وهذا ما اصبح سنة في الخلافة الاسلامية - المؤاخاة :

قام رسول الله (ﷺ) بالمؤاخاة بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة وشد أزر بعضهم بعضا . وبهذا كان سبب المؤاخاة اجتماعيا توخى منه (ﷺ) إقامة علاقة تقوم على المساواة والمؤاساة بين المهاجرين والأنصار .

5 - إعلان الصحيفة :

نظم الرسول (ﷺ) العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية بين فئات مجتمع المدينة بصحيفة عدت بمثابة دستور للمدينة ، فقدمت صورة للتنظيم القانوني الذي وضعه (ﷺ) لتنظيم أوضاع دولة المدينة في مختلف جوانب الحياة . وجاء في بداية هذه الصحيفة « بسم الله الرحمن الرحيم ، من الكتاب من محمد النبي ( علي عليه) بين المؤمنين والمسلمين ، من قرئش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد 6 معهم . إنهم امة واحدة من دون الناس.

## مملكة الحيرة

### الموقع والتسمية والمكانة الاقتصادية :

تقع الحيرة في ضمن منطقة السهل الرسوبي لبلاد ما بين النهرين عند الأطراف الشمالية الغربية لبادية السماوة، وهي تبعد مسافة ثلاثة أميال إلى الجنوب الغربي من مدينة الكوفة، إذ نشأت مدينة الحيرة في منطقة سهلة منبسطة على حافة البادية ، وقد ذكر (الحموي) أن الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به ... ويقال لها الحيرة الروحاء ))، ويتميز موقع الحيرة بميزات رائعة يصفها (القلقشدي): ((بصحة هوائها وطيب مائها ونزهة ظاهرها تصلح للخف والظلف ... محل الملوك ومزارهم ومسكنهم ومثواهم )) .

أما التسمية فقد وردت فيها آراء عديدة، فمنهم من قال أنها سميت الحيرة لان تبعاً الأكبر لما قصد خراسان خلف ضعافاً ومرضى جنده بذلك الموضع، وقال لهم حيروا به أي أقيموا به، أو أنها سميت الحيرة لأن تبعاً لما أقبل بجيوشه فبلغ موضع الحيرة ضل دليله وتحير فسميت الحيرة، والراجح هو أن التسمية مشتقة من كلمة حرتا Harta الأرامية أو حيرتو السريانية، وكلا الكلمتان تعنيان المخيم أو المعسكر أو المقام.

### السكان

وسكن هذه المنطقة قبائل عربية مختلفة هاجرت إليها منذ أزمان بعيدة، كان في مقدمتها هجرت الأكديين الذين أسسوا أول دولة مركزية موسعة في التاريخ، ثم أعقبتها هجرات عربية كبيرة أخرى، وكان من نتائجها نشوء دولة المناذرة. كان أغلب سكان هذه المنطقة من العرب، من سكان الحيرة أيضاً (النبط) وهم بقايا الكلدانيين والسريان، وكانوا يمتنون الزراعة وتربية الحيوانات، ويسكنون القرى، فضلاً عن اليهود الذين هم من بقايا السبي البابلي، واستقروا في المنطقة، وشيدوا المدارس. ويقسم المؤرخون العرب سكان هذه المنطقة على ثلاث أقسام هي: تنوخ والعباد والأحلاف فضلاً على شرائح اجتماعية أخرى، وتنوخ كانوا أصحاب المظال وبيوت الشعر ينزلون غربي الفرات فيما بين الحيرة والأنبار فما فوقها ، ولا ينزلون بيوت المدر ، وكانوا يسمون عرب الضاحية، ويعتقد أن المقصود بتنوخ هم جموع من الازد ومن غيرهم ممن كان يشتغل بالزراعة ومن كان يعيش عيشة البادية من سكان المنطقة المحصورة بين الحيرة والأنبار، ولم يقصد بها قبيلة معينة بل مجموعة قبائل تحالفت على الإقامة والعيش المشترك ، أما العباد فهم الذين سكنوا الحيرة وابتوتوا بها ، وهم قوم متحضرون يعيشون حياة التمدن والاستقرار وهم من قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة، فأنفوا أن يتسموا بالعبيد وقالوا

نحن العباد، وقد اختلف المؤرخون العرب في رأيان في سبب هذه التسمية، فمنهم من رأى أن التسمية جاءت لرفعهم شعار يا لعباد الله في أثناء حربهم ضد سابور ذو الأكتاف، فسموا العباد، والرأي الثاني هو أن معظم أسمائهم تبدأ بكلمة (عبد) ، أما الأحلاف فهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها، وهم ليسوا من تنوخ ولا من العباد، وكانت هذه القبائل تتجول في أطراف الحيرة وأحياناً تستقر فيها، ويتوقف عددهم على قوة المناذرة وامتداد حكمهم.

### الأحوال السياسية في الحيرة :

يكتنف الكثير من الغموض تاريخ الحيرة السياسي قبل الميلاد، لنقص الكتابات التي تشير إلى زمن تأسيس الحيرة، وقد وردت إشارات عابرة في المصادر العربية ترجع زمن تأسيس الحيرة الى عهد نبوخذ نصر الثاني ( ٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م) الذي جلب القبائل العربية وبنى لهم حيراً على النجف وحصنه ثم ضمهم فيه، والمعلومات عن الحيرة تصبح أكثر وضوحاً بعد الميلاد، حيث تشير إلى تولي المناذرة حكم منطقة الحيرة ، وقد سميت بدولة المناذرة نسبة إلى أسماء بعض ملوكها ممن اسمه (المنذر)، وتشير المصادر إلى تولي سلالتين عربيتين السيادة في غربي الفرات بصورة عامة ومنطقة الحيرة بصورة خاصة، وهاتان السلالتان هما: السلالة التتوخية والسلالة اللخمية

وأجمعت المصادر العربية على أن التتوخيون هم مزيج من قبائل عدة اجتمعت بالبحرين وتحالفوا على التتوخ (الإقامة) وتعاقدوا على الوحدة فيما بينهم تحت اسم تنوخ، ثم ارتحلوا بعد ذلك إلى العراق وأقاموا فيه وكانت منازلهم فيما بين الحيرة والأنبار وهيت وناحيتها وعين التمر وأطراف البر وما والاها، أما اللخميون فنسبة إلى لخم وهي قبيلة من اليمن من العمرو بن عدى ابن نصر اللخمي.

نشأت دولة المناذرة أيام حكم الفرس الساسانيون للعراق، إذ كانت القرى والمزارع التابعة للساسانيين على حافة الصحراء الغربية تتعرض من حين لآخر لغارات القبائل العربية البدوية فشعر الساسانيون بحاجة إلى عرب يملكونهم على ثغور العراق يصدوا غارات البدو، فملكوا اللخميون على الأطراف الغربية للسواد، وبنى اللخميون في هذه المنطقة عددا من المدن أو القرى والقلاع أهمها الحيرة على حافة الصحراء الغربية.

وكان أول ملك تنوخي هو مالك بن فهم الأزدي، وكان منزله مما يلي الأنبار، خلفه أخوه عمرو بن فهم الأزدي، ثم جزيمة بن مالك بن فهم الأزدي المعروف بالأبرش، يلقب كذلك بـ (الوضاح) لبرص كان فيه، ويعد أشهر ملوك هذه السلالة، حيث امتدت سيادته على نواح كثيرة في العراق، كما غزا طسم وجديس ومنازلهم في



اليمامة، وحاول أن يمد نفوذه إلى منطقة البحرين جنوباً، وإلى بادية الشام غرباً، وذكر (القلقشندي) أن جذيمة أول من جلس على السرير من ملوك العرب، وأول من اتخذ المنجنيق من العرب، وكان له صنمان يقال لهما الضيزنان يستسقي بهما ويستتصر بهما على عدوه ، وانتهت حياة جذيمة على يد الزباء .

وبعد مقتل جذيمة يبدأ حكم السلالة اللخمية (آل لخم) (سنة ٢٦٨م) ، وتسمى هذه السلالة آل نصر أيضاً ، حيث خلفه ابن أخته عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي، وهو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب بعد أن كان ملوك التنوخيين لا يستقرون في مدينة وبهذا المعنى يعد عمرو بن عدي مؤسس حكم المناذرة في العراق ، ومن أشهر الملوك الذين جاءوا من بعده الملك النعمان الأول بن امرئ القيس ، وقد عرف هذا الملك باسم النعمان الأعور)، وذكرت المصادر العربية أنه كان من اشد ملوك العرب نكاية في أعدائه، غزا الشام مراراً وأكثر من المصائب في أهلها وسبى وغنم، ويذكرون أيضاً أنه جند الجند على نظام خاص عرف به، فكان عنده من الجيش كتابيتان : الأولى اسمها (الشهباء ) ( لأن رجالها كانوا بيض الوجوه وهي مؤلفة من الف رجل من الفرس، والثانية من عرب تنوخ اسمها (الدوسر)، فكان يغزو بهما من لا يدين له من العرب ، واهتم هذا الملك بالبناء والعمران، حيث اشتهر ببنائه لقصر الخورنق الشهير ، وبناء قصور بمثل هذه الفخامة يدل على قوة الاقتصاد الذي كان يتمتع به المناذرة، وفي عهد هذا الملك بدأت المسيحية تنتشر في الحيرة، فقد سمح بحرية ممارسة المسيحية في الحيرة، وتشير المصادر العربية إلى أن الملك النعمان بينما هو جالس في قصر الخورنق ينظر منه إلى مابين يديه من الفرات وما عليه من النخل والأجنة والأشجار إذ ذكر الموت فقال: وما ينفع هذا مع نزول الموت وفراق الدنيا ؟ ، فتنسك وتخلي عن الملك ولبس المسوح وساح في الأرض، وسمي بـ (النعمان السائح).

ومن الملوك المشهورين في هذه السلالة أيضاً الملك المنذر بن ماء السماء، وقد حارب هذا الملك ضد البيزنطيين في سورية، وبلغ بغاراته إنطاكية، أما آخر ملوك المناذرة فكان النعمان الثالث بن المنذر الرابع ( ٥٨٥-٦١٣م) ، حيث قتل هذا الملك على يد الملك الفارسي كسرى أبرويز، وتذكر المصادر العربية أن قصة مفادها أن ملك الفرس طلب من المنذر الرابع أن يرسل له أحداً يترجم له الكتب، فبعث له بعدي بن زيد وأخوين له يترجمون لملك الفرس، وكان النعمان بن المنذر قد تربى في كنف آل عدي بن زيد، ولما توفي المنذر الرابع تمكن عدي بن زيد أن يجعل النعمان بن المنذر ملكاً على الحيرة بدهائه ونكائه، وهذا الأمر أوغل الحقد في نفوس إخوة النعمان، وتمكنوا من أن يوقعوا بالنعمان، إذ أوغلوا صدره على عدي بن زيد، الأمر الذي دفع النعمان إلى قتله عدي بن ول، وبالمقابل تمكن حده زيد بن عدي أن يثأر لأبيه، وكان يعمل لكسرى عمل أبيه

في ترجمة الكتب، وطلب كسرى يوماً جارية وصف صفتها فلم يعثروا له على من بها مثل هذه الصفات، وأشار له زيد بن عدي أن عند النعمان بنات وقربيات على أكثر مما يطلب الملك، فوجه كسرى إلى النعمان يأمره أن يبعث إليه ابنته ليتزوجها، فقال النعمان: أما في عين السواد وفارس ما يبلغ الملك حاجته؟، فلما سأل كسرى عما يعنيه بالعين؟، قال زيد بن عدي: أراد البقر ذهاباً بابنته عن الملك، فغضب الملك، ثم كتب كسرى إلى النعمان يأمره بالقدوم إليه.

وعلم النعمان بنية كسرى، فحمل سلاحه وما قوى عليه حتى نزل في بطن ذي قار في بني شيبان، وأودعها عند هاني بن مسعود الشيباني، ومضى إلى كسرى فنزل ببابه، فأمر أن يطرح تحت الفيلة فداسته حتى قتلتها وقرب للأسود فأكلته، وولى الحيرة من بعده أياس بن قبيصة الطائي إلى جانب مقيم فارسي يمثل كسرى، ووجه كسرى إلى هاني بن مسعود الشيباني أن يرسل له مال وسلاح وبنات النعمان، فأبى هاني وقومه أن يلبوا طلبه، وقد ثار العرب لمقتل ملكهم، وأرسل كسرى أبرويز حملة تمكن العرب من هزيمتها في معركة ذي قار، وقد وصلت أصداء هذا الانتصار إلى جميع أنحاء الجزيرة العربية، وتذكر المصادر التاريخية أن الرسول؟ لما سمع بانتصار العرب على الفرس في معركة ذي قار ( قال : ((هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا))، ويمكن القول أن السبب في رفض النعمان تزويج بناته لملك الفرس كون أن بنات النعمان كن نصارى مترهبات، وكان كسرى أبرويز مجوسياً زرادشتياً لا تحل له النصرانية، فرفض النعمان عرض الزواج، وأولت إلى ما أولت إليه قصة الرفض.

#### دولة تدمر التسمية والموقع والمكانة الاقتصادية :

يرجح أن تكون تدمر قد استوطنت في الألف الثاني قبل الميلاد، حيث كانت سورية مؤلفة من عدد من الوحدات السياسية التي تحكمها أسر أمورية ينحدرون من قبائل بدوية (عربية) سورية قطنت في مناطق تدمر، إلا أن هذه الأسر التي كونت مجاميع متفرقة لم تتوصل إلى تشكيل وحدة سياسية شاملة.

تعود أقدم إشارة إلى تدمر تلك التي وردت في النصوص المسمارية من عهد سرجون الأول الأكدي ( ٢٤٧١ - ٢٣١٦ ق.م)، وورد اسم تدمر في كتابات قديمة تعود لمدة الملك الآشوري تجلات بلاصر الأول ( ١١١٥ - ١٠٧٧ ق.م) سميت في هذه الكتابات تدمر العموريين، وهناك اشارات عديدة إلى تدمر في النصوص العراقية القديمة، وأشارت التوراة الى ان النبي سليمان بن داود ( عليه السلام ) هو الذي بنى مدينة تدمر، والملاحظ عموماً أن ذكر تدمر في معظم هذه النصوص يرتبط بالتجارة، مما يشير بوضوح إلى الأثر الكبير

الذي لعبته تدمر في التجارة العالمية منذ أقدم العصور ، كما ورد اسم تدمر في الكتابات الآرامية باستمرار دلالة عليه ، وقد عرفت عند الكتاب اليونان والرومان باسم (بالميرا Palmyra) (بدلاً من اسم تدمر، وهذا المصطلح مشتق من الكلمة اللاتينية Palm) وتعني النخل أو التمر، وقد أطلقه الإسكندر الكبير (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) عندما رأى غابات النخيل العظيمة التي تتواجد في تدمر بعد أن تمكن من دخولها، فسماها (بالميرا Palmyra) ، أي مدينة النخيل ، وردت المصادر العربية ما أورده التوراة في أن تدمر بناها الجن بأمر من النبي سليمان ؟، وأنها من عجائب الأبنية، موضوعة على العمدة الرخام، وهي عبارة عن واحة شكلها منبسط، تقع في طرف البادية التي تفصل الشام عن العراق، وتقع في منتصف الطريق بين الفرات والبحر المتوسط، وهي على العموم منبسطة السطح تحيط بها جبال تفصل بينها وبين البادية.

تعد التجارة الدولية النشاط الرئيس للتدمريين، وقد ساعدت مياه هذه الواحة وتوفر التربة الخصبة على ازدهار الزراعة في تدمر، الأمر الذي رفع منزلة تدمر من محطة منعزلة في البادية تنزل بها القوافل إلى مكانة مدينة من الدرجة الأولى، وسوقاً للتجارة تكدست فيه أنفس البضائع وأثمنها، وتجمعت فيها رؤوس الأموال، وعرفت تدمر بنشاطها الواضح في الصناعات النسيجية، كما برع التدمريون في الصناعات الجلدية، وبرع التدمريون في صناعة الحلي والمصوغات الذهبية، وقد لاقت المصوغات التدمرية إقبالاً عليها، فصدرت الحلي الذهبية المنتجة في تدمر إلى روما وباقي بلاد العرب .

### التاريخ السياسي لتدمر :

ارتبط تاريخ تدمر بتاريخ الرومان، ويتوضح ذلك من خلال ما ذكره الكتاب الرومان، إذ أن أول إشارة إلى العلاقات السياسية بين تدمر والرومان تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد، عندما الحق التدمريون هزيمة كبيرة بالجيش الروماني العائد من حرب الفرثيين، وربما كان للطمع الروماني في تدمر أثر في توجيهها نحو التحالف مع الفرس الفرثيين، ولم تخضع تدمر للنفوذ السياسي الروماني إلا في عهد طيباريوس (١٤ - ٣٧م)، عندما الحق تدمر بالولاية العربية (الولاية الرومانية الرابعة ومركزها بصرى، إلا أن خضوعها لم يكن سياسياً إنما كان إدارياً فقط، إذ مع أن تدمر اعترفت بسيادة روما عليها ، إلا أنها لم تتخل عن استقلالها، على الرغم من وجود ممثل لروما في تدمر، وهذا ما أكده بلييني (ت ٧٩م) عندما أشار إلى أن تدمر لم تكن في عهده ولاية رومانية، إنما كانت دولة حاجزة بين الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية.

وعندما زار الإمبراطور هادريان (١١٧) - (١٣٨م) تدمر أطلق عليها اسم (هادريانا)، مع أنه لم يخضعها لسيطرته، وجعل منها معبراً تجارياً بين الرومان والفرس، بعد أن اتبع سياسة مسالمة معهم، وغير الممثل العسكري لروما في تدمر إلى وكيل يراقب سير الخزانة بعد أن منحها الاستقلال الرسمي ، وقد بقيت تدمر تحتفظ بامتيازاتها ، حيث رفعها الإمبراطور سبتيموس سيفيريوس (١٩٣ - ٢١١م) إلى منزلة المستعمرة العليا عند زيارته لتدمر في طريقه لحرب الفرس، وقد سحب معه في تلك الحرب حيران بن وهب اللات حاكم تدمر، الذي نشأت في عهده الدولة الساسانية الفارسية ( ٢٢٦ - ٦٤٠م) فعادت الحرب بين الروم والفرس إلى الاندلاع من جديد، ثم زارها الإمبراطور إسكندر سيفيريوس بين ( ٢٣١-٢٣٠م) ومنح حاكمها أذينة الأول بن حيران لقب ملك، وقد حاول أذينة التمرد على الرومان للتخلص من سيطرتهم مستغلاً حربهم مع الساسانيين، فاكشف الرومان عزمه واغتالوه في أواسط القرن الثالث الميلادي.

ومن قادة تدمر المشهورين أيضاً أذينة الثاني الذي حكم تدمر في حوالي عام (٢٥٨م)، وفي عهده اندلعت الحرب الثانية بين الفرس والروم، واستطاع الفرس إلحاق هزيمة بالجيش الروماني في معركة (اديسا)، فتمكن أذينة الثاني من جمع بقايا القوات الرومانية إلى جانب جيشه، وتمكن من إجبار الفرس على التراجع عن الأراضي التي تمكنوا من السيطرة عليها، فكانت ضربة قاسية لملك الفرس وجنده ، وهنا منح درجة قائد عام على جميع عساكر المشرق وأصبح سيد الشرق الروماني، وتمكن من فرض سلطته على سوريا وسائر آسيا الرومانية وأصبح حاكماً عاماً عليها في سنة ( ٢٦٠ ، ٢٦٤م) ، مما يوحي بالسيادة الحقيقية التي كان يتمتع بها في مملكته، واتخذ لنفسه لقب ملك الملوك ، وقد عد بعض الباحثين هذا التاريخ هو تاريخ تأسيس الملكية في تدمر ، وهذا ما اشار اليه بغض المؤرخين إذ ذكروا بان ساعة انتصار أذينة على الملك الساساني سابور كانت ساعة التخلص من العبودية الرومانية، وإعلان الاستقلال.

وكانت زنوبيا زوجة أذينة الثاني تنوب عن زوجها في حكم البلاد في أثناء غيابه مما أكسبها شهرة واسعة لمقدرتها الإدارية، وقد مكنتها من ذلك إجادتها للغات الآرامية والقبطية وبعض اللاتينية واليونانية، وإطلاعها الواسع بتاريخ الشرق والغرب، فضلاً عن تميزها بالشجاعة والدهاء والهيبة والنفوذ بين قوادها وكبار رجال الدولة، وكانت في كثير من الأحيان تقود جيشها مرتدية لباس الحرب، ولما اغتيل أذينة الثاني في عام (٢٦٧م) ويبدو ان ذلك كان بتدبير الرومان.

خلف وهب اللات أباه، وكان صغير السن، فأصبحت أمه زنوبيا وصية عليه، وكانتهنخط لتكوين دولة ذات سيادة مستقلة استقلال تام عن الرومان، وبالفعل تمكنت من دحر جيش الرومان في عام (٢٦٨م) ، وأعلنت في سنة (٢٧١م) استقلال تدمر عن روما، وتمكنت من فرض سلطتها على مصر وسوريا والعراق وآسيا الصغرى إلى أنقرة، وقامت بحملتين على مصر الأولى في حدود عام (٢٦٨-٢٦٩م)، ويبدو أن هذه الحملة لم تحقق أهدافها، فقامت بحملة أخرى في عام (٢٧٠م) تمكنت فيها من احتلال مصر ، وهذا ما دفع الإمبراطور اورليان (٢٧٠ ٢٧٥م) إلى قيادة جيوش جرارة بغية إعادة السيطرة على تدمر ، وتمكنت جيوش اورليان من دحر جيش زنوبيا، والقي القبض عليها في عام (٢٧٣م)، وأخذها أسيرة إلى روما، وقد حاول أحد أقارب زنوبيا واسمه انطيوخس) الثورة على الرومان والتحرر منهم، إلا أن أورليان عاد ودمر أسوار تدمر، وفتك بأهلها ، وأباح المدينة لجنده، وتحولت تدمر إلى مدينة قوافل صغيرة ، وبهذا المصير انتهت تدمر على يد الرومان.

#### دولة الغساسنة:

#### التسمية والموقع والمكانة الاقتصادية :

يسمى الغساسنة أيضاً ب آل جفنة وب أولاد جفنة نسبة إلى أول ملوكهم جفنة بن عمرو مزريقاء، وكذلك يسمون ب آل ثعلبة نسبة إلى جد لهذه الأسرة يعرف باسم ثعلبة بن مازن وعاصمتهم الدينية كانت (بصرى)، أما عاصمتهم السياسية فكانت مخيماً متقللاً، ثم أصبحت (الجابية) في الجولان، والغساسنة من أزد اليمن، نزحوا قبل أو بعد حادثة السيل العرم تحت قيادة زعيمهم عمرو بن عامر مزريقاء من جنوب شبه جزيرة العرب إلى شمالها، وقبل أن يستقروا في سوريا، أقاموا حيناً من الزمن في البلقاء من أرض تهامة على نبع ماء يقال له (غسان) فنسبوا إليه

وكان يسكن مشارف الشام قبل نزوح الأزد الغساسنة قوم يعرفون بالضجاعة وهم من قبائل بني سليح من قضاة، الذين فرضوا على الغساسنة إتاوة يدفعونها لهم زمناً إلى أن تغلب الغساسنة عليهم وحلوا محلهم، إلا أن تغلب الغساسنة على بني سليح الضجاعة لم يقض عليهم نهائياً، بل ظلوا مقيمين في مواضع أخرى من الشام إلى زمن متأخر ، وديار الغساسنة تمتد ما بين الجولان واليرموك .

#### حضارة الغساسنة:

أما حضارتهم فقد كانت متأثرة بالحضارتين الساسانية والبيزنطية، فأقاموا الكثير من القصور والقناطر والأبراج وغيرها ، فعمرت المدن بهذه الأبنية، واشتغل الغساسنة بالزراعة، فاستغلوا مياه حوران التي تتدفق من أعلى الجبال في الزراعة، فعمرت القرى، ويرجح أن يكون الغساسنة قد استفادوا من موقعهم في عملية نقل التجارة، سواء أكانت محلية مما اشتهرت سوريا بإنتاجه لاسيما الأقمشة والحبوب، أو مما يأتيها من خارج البلاد لاسيما التجارة الواردة من الهند والصين عبر الخليج العربي، على ذلك كانت محطة للقوافل وسوقا نشطة للبيع والشراء ، وكانت لغتهم هي اللغة العربية إلى جانب اللغة الآرامية التي تأتي في الدرجة الثانية، أما ديانتهم فهي النصرانية على المذهب (المنوفستي) (اليعقوبي) نسبة إلى يعقوب البرادعي الرهوي.

### الأوضاع السياسية

ان أول من ملك من غسان جفنة بن عمرو الغساني ، وكان الذي ملكه على عرب الشام الامبراطور الروماني نسطور ، أما الحارث بن جبلة بن الحارث الجفني (٥٢٩-٥٦٩م) فيعد من أعظم وأشهر ملوك الغساسنة، وكان معاصراً للإمبراطور البيزنطي جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م)، ولكسرى انوشروان (٥٢١ - ٥٧٩ م ) ، وأعجب البيزنطيين بشجاعة الحارث بن جبلة، ومنحه الإمبراطور جستنيان سنة ٥٢٩ م لقب (ملك) ، مع أن بعض المصادر الأجنبية تشير إلى أنه منحه لقب (بطريق) (بطريك)، أو لقب شيخ القبيلة (فيلاركوس)، لأن لقب (ملك) كان مقتصراً على القياصرة، وكان يقصد من وراء إعطاء مثل هذه الألقاب دعم الغساسنة ليكونوا قوة عسكرية أو دولة حاجزة تكفيهم غزو القبائل البدوية المستمر على حدود بيزنطة، وليكونوا قوة عسكرية أمامية بوجه المناذرة ومن ورائهم الفرس العدو التقليدي للروم

وبالفعل استطاع الحارث بن جبلة ضبط الأمن في سوريا في أثناء انشغال جستنيان بحروبه في أسبانيا وشمال أفريقيا، وتذكر المصادر العربية أن الحارث بن جبلة وقعت بينه وبين المنذر بن امرئ القيس اللخمي ملك المناذرة معارك كثيرة كان آخرها معركة كبيرة في (قنسرين) عام ٥٥٤ م ، تمكن خلالها الحارث بن جبلة قتل المنذر ودخول (قنسرين . ) خلف المنذر الأكبر ( ٥٦٩-٥٨٢ م ) أباه الحارث بن جبلة في حكم دولة الغساسنة، وحارب المناذرة، وتمكن في سنة ٥٧٠م من الانتصار عليهم في معركة (عين أباغ) بالقرب من الحيرة وكان المنذر مؤيداً للمذهب (المنوفستي) (اليعقوبي)، الأمر الذي أدى إلى تدهور العلاقات بين البيزنطيين والغساسنة، وقد فشل الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني (٥٦٥-٥٧٨م) في تدبير مؤامرة لقتله، إذ أحس المنذر الأكبر بهذه المؤامرة، فهرب إلى البادية، وشق عصا الطاعة عن البيزنطيين لمدة ثلاث سنوات، الأمر الذي

دفع المناذرة إلى استغلال الفرصة ومهاجمة سوريا وعاثوا بها فساداً، فاضطر جستين الثاني إلى عقد الصلح مع المنذر الأكبر ليضبط لهم الحدود الجنوبية الشرقية لإمبراطوريتهم، وأنعم الإمبراطور الجديد طيباريوس (٥٧٨-٥٨٢م) على المنذر بالتاج بدلاً من الإكليل، في أثناء زيارة المنذر للقسطنطينية سنة ٥٨٠م.

ثم ساءت العلاقات بين المنذر والبيزنطيين على إثر فشل الحملة التي أرسلها الإمبراطور طيباريوس إلى الفرس، فعزا البيزنطيين الهزيمة إلى تواطؤ المنذر مع الفرس، ثم اعتقل من قبل الحاكم البيزنطي في سوريا وأرسل إلى القسطنطينية مع اثنين من أبناءه وإحدى نساءه متهماً بالخيانة، وعندما تولى الإمبراطور موريق (٥٨٢-٦٠٢م) الحكم في بيزنطة، وقد عرف بعدائه للمنذر، إذ أمر أن ينفى المنذر إلى جزيرة صقلية، وأمر أن تقطع المعونة السنوية عن أسرة المنذر، الأمر الذي أغضب أبناء المنذر، فتمردوا على البيزنطيين، ودخلوا الصحراء، وقاد النعمان أكبر أبناء المنذر هجمات على عنيفة ضد (بصرى) التي كانت أكبر قاعدة بيزنطية في سوريا.

وقد تمكن الإمبراطور موريق من الإيقاع بالنعمان بن المنذر، وألقي القبض عليه وأرسل إلى القسطنطينية، وبعد ذلك عمت الفوضى دولة الغساسنة، وتجزأت إلى أن استولى الفرس على سوريا عام ٦١٤م، ثم تمكن الإمبراطور البيزنطي (هيراكليوس) (هرقل) طرد الفرس من سوريا في سنة ٦٢٨م، وأعاد الغساسنة إلى حكم سوريا، إلا أن المعلومات عنهم قليلة ومتفرقة وغير مهمة، وكان آخر ملوكهم هو جبلة بن الأيهم، الذي حارب الفرس إلى جانب البيزنطيين

### حياة الرسول (ﷺ) من الولادة حتى البعثة

إن التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي مرت بشبه الجزيرة العربية حتى القرن السادس الميلادي ، أذنت بقرب فجر جديد قلب موازين القوى في المنطقة . وكانت إرادة الله تعالى أن تكون القيادة بيد محمد بن عبد الله ( ) وهو رجل من العرب ومن أبناء مكة حيث بيت الله الحرام ، وهذه الرسالة التي حملها النبي (ﷺ) هي الإسلام .

نسب محمد (ﷺ) :

اتفقت المصادر على عروبة محمد (ﷺ) وانتسابه إلى قبيلة قريش من خير قبائل العرب، فقد قال (ﷺ): "أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين ، فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نسبا" رواه الترمذي وأحمد ، ونسبه على نحو ما يأتي : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ( ) . فرسولنا (ﷺ) من سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة ، إذ جاء في صحيح مسلم أنه (ﷺ) قال : " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، وأصطفى قريشا من كنانة ، وأصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم وهذه السلسلة اتفق عليها النسابون العرب ، والملاحظ في نسبه (ﷺ) انه يلتقي عند فهر بجميع بطون قريش ، كما أن التقاء نسبه بعدنان يجعله من القبائل العربية الشمالية المعروفة بـ ( العدنانية ) .

وكان الأجداد (ﷺ) نور كبير في حياة مكة كقصي بن كلاب وهاشم بن عبد مناف . أما عبد المطلب فنشأ في يثرب لأن أمه كانت من هناك من بني النجار ، وذكر أن أسم عبد المطلب كان (عامرا ) . وقد نذر عبد المطلب أن ينحر أحد أبنائه أن بلغوا عشرة أولاد ، فأصبح له من الولد عشرة فعلا هم كل من : ( الحارث ، الزبير ، وحجل ، وضرار ، المقوم ، أبو لهب ، العباس ، وحزمة ، وأبو طالب ، وعبد الله ) . فهمه نذره فقدم قربانا مئة من الإبل فدية لولده .

ومن هذا نستدل على حالة عبد المطلب الاقتصادية الجيدة ، كما أن مركزه قوي بين قومه بعد أن أصبح له عشرة أولاد . وقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن عبد الله كان من اجملهم واحبهم الى عبد المطلب فزوجه امنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أفضل امرأة في قريش .



أشارت معظم الروايات التاريخية إلى أن الرسول (ﷺ) قد ولد يتيم الأب ، إذ أن والده توفي وهو في بطن أمه ( ألم يجدك يتيما فأوى .) وولد ( ) بدار والده بموضع يدعى شعب بني هاشم . وعندما ولد أرسلت أمه أممة بن وهب إلى جده عبد المطلب وطلبت منه أن يسميه (محمداً) .

ومكث (ﷺ) عند أمه مدة قصيرة بعد ولادته ريثما يجدون له مرضعة . وقد ذكر أن أول من أرضعته مولاة لأبي لهب تدعى ثوية . وروي أن المرضعات اللواتي قدمن من بادية بني سعد بن بكر بن هوازن للحصول على أطفال لإرضاعهم ، فما من امرأة منهن إلا وعرض رسول الله (ﷺ) كما تروي حليلة السعدية : ( فإذا قيل لها انه يتيم تركناه وقلنا ماذا عسى ان تصنع إلينا أمه إنما نرجو المعروف من أبي الوليد . . . . ، فلما لم أجد غيره قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى والله إنني أكره أن أرجع من بين صويحباتي ليس معي رضيع ، لا نطلقن إلى ذلك اليتيم فلأخذنه . . . . . وكانت الأسباب التي دفعت أهل مكة إلى إرسال أطفالهم إلى مرضعات من أهل البادية كي ينشئوا في جو صحي صحيح بعيدا عن الوباء ، ومن أجل أن يتعلموا فصاحة اللسان وخشونة العيش كان مكة بحكم مركزها الديني والتجاري مدينة يلتقى فيها الناس من شتى الأجناس مما يؤثر على لهجات وعادات اهلها فضلا عن احتمال نقل العدوى إلى أبنائها ، كما أن أصول قريش البدوية شجعتهم على إرسال أبنائهم الرضع إلى البادية لينشئوا فيها نشأة صحيحة.

وقد كان (ﷺ) يفخر بنشأته في بني سعد وتعلمه لسانهم بقوله : (أنا أعربكم ، أنا قريشي واسترضعت في بني سعد بن بكر ( ولم تتفق المصادر على المدة التي مكث فيها (ﷺ) عند مرضعته حليلة السعدية ، فأشارت بعضها إلى أنها كانت أكثر من سنتين بينما قالت أخرى أنها أربع سنوات أو أنها خمس سنوات . وعلى الأرجح أنه بقي هناك بحدود خمس سنوات لأنه (ﷺ) كان يعتز بأن لسانه هو لسان بني سعد ، وأنه كان يرعى الغنم عندهم. وأن هذه المدة قد تركت أثرا في نفسه وجعلته يشعر تجاه مرضعته وأبنائها كأنه منهم

وبعد عودته (ﷺ) إلى أهله في مكة عاش مع والدته بحوالي سنة واحدة ، ثم توفيت ، فانتقل إلى بيت جده عبد المطلب الذي أهتم به كثيرا ليعوضه حنان والديه . وحين حضرت وفاة عبد المطلب أوصى ابنه أبا طالب برعايته ، فانتقل محمد (ﷺ) إلى بيت عمه أبي طالب فعاش في كنفه مع أفراد أسرته . وروي أن أبا طالب خرج بتجارة إلى الشام في إحدى القوافل ، فاصطحب محمدا معه وكان عمره آنذاك تسع سنين وقيل اثنا عشرة سنة . وقد عمل النبي (ﷺ) عمه آنذاك في رعي الأغنام المساعدة أبا طالب الذي . كان كثير العيال . وعندما بلغ (ﷺ) مرحلة الشباب بحث عن عمل يناسبه فجاء توجهه نحو التجارة . وحين بلغ (٢٥) سنة ( عمل مع

خديجة في التجارة ، ولما علمت من صدقه وحرصه على مالها وتجاريتها ضاعفت له العطاء وبعد ذلك تزوج (ﷺ) من هذه المرأة الطيبة السمعة ، فهي من صميم قبيلة قريش فهي : ( خديجة بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ) . وكانت خديجة قد تزوجت قبل ذلك من رجلين ووصفت المصادر التاريخية خديجة بأنها أوسط نساء قريش نسبا ، وأعظمهم شرفاً .

وأكثرهم مالاً ، وتضاربت الروايات بين عمره (ﷺ) وبين عمر خديجة وقت زواجهما فأشارت بعضها إلى أن عمر النبي (ﷺ) كان (٢٥) سنة ) ، أما عمرها فكان (٤٠ سنة)، في حين أشارت أخرى إلى ن عمره كان (٢٣) سنة أما عمرها فكان (٢٨) سنة ) . وعلى ما يبدو أن عمر أم المؤمنين خديجة الكبرى حين زواجها من الرسول (ﷺ) كان أقل من (٤٠) سنة ) لأنها أنجبت منه سبعة أولاد هم كل من : القاسم ، وعبد الله والذين توفوا . أما من البنات فأنجبت له زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة . أما ولده إبراهيم فلم يكن من وهم صغار خديجة ؛ بل من أم المؤمنين مارية القبطية بعد هجرته إلى المدينة.

لم تزودنا المصادر بمعلومات عن حياته (ﷺ) منذ زواجه من خديجة حتى السنة الخامسة قبل البعثة ، إذ وقع في هذه السنة خصام شديد بين عشائر مكة كل منهم يريد أن يكون له الشرف في وضع الحجر الأسود مكانه ، فمكثت قريش أربع ليال أو خمسا دون حل للمشكلة ، ثم اجتمعوا واتفقوا على أن يجعلوا أول من يدخل عليهم من باب المسجد حكما بينهم ، فكان محمد (ﷺ) أول من يدخل عليهم فلما رأوه قالوا هذا الأمين فرفضوا به ، فقال هلموا ثوبا فوضع الركن فيه بيده ، ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم رفعوه جميعا حتى بلغوا موضعه ، فوضعه (ﷺ) بيده ثم بني عليه . وهكذا ارتفعت مكانة النبي (ﷺ) بين أبناء عشيرته ؛ لا بل في مكة بأسرها لحكمة وحسن تصرفه في حل المشكلة الصعبة.

#### حياة محمد بن عبد الله قبل البعثة :

كان زواجه (ﷺ) من خديجة من أهم العوامل التي أثرت في حياته وتوجيهاته الروحية . والجانب الأهم هو علاقة القرابة التي تربط خديجة بابني عمها ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وهما من الذين عرفوا برفض عبادة الأصنام . ويبدو من بعض الروايات أنه (ﷺ) كان على علاقة جيدة بأولئك نفر الذين امنوا بالحنيفية ، وهم أتباع إبراهيم (ع) والذين رفضوا عبادة الأصنام ، وأمنوا بالبعث بعد الموت وراحوا يبحثون عن الحق . وقد سعى هؤلاء الأحناف البحث عن الحق والاتصال بأصحاب الكتب السماوية من يهود ونصارى ، ولم يكن محمد بن عبد الله بعيدا عما كانوا يفكرون به ، واستمر في بحثه عن دين الحق دين إبراهيم الخليل (ع) ، قال

تعالى : " قل أنفي هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين " الأنعام ١٦١ . وقال : " ألم يجدك يتيما فأوى ، ووجدك ضالاً فهدى . ومن هذه الآيات نستدل على أن النبي ( ) لم يسر على دين آبائه وأجداده الذين أشركوا بالله تعالى ، بل على ملة إبراهيم حنيفا مسلما ولم يكن من المشركين .

### نزول الوحي :

الوحي كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه ، قال تعالى : "إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده النساء ١٦٣ . وقد ذكر ابن إسحاق أن أول مرة جاء بها جبريل إلى النبي (ﷺ) كان في المنام . بيد أن العديد من المصادر التاريخية أشارت إلى مسألة الوحي دون أن تذكر حالة النوم . ويبدو أن أهمية هذا الخلاف ليست كبيرة لأن جميع الروايات تسلم بأن رؤى الرسول (ﷺ) حق ، وأن الوحي كان يأتيه في المنام كما يأتيه في اليقظة .

وذكر أنه (ﷺ) قد أصابه اضطراب وقلق من جراء رؤية الوحي وقد صرح زوجته خديجة بمسألته، فذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل فقصت عليه الخبر فأجابها بقوله : " قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة ، إنه لنبي هذه الأمة ، وإنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى (ع) فقولي له فليثبت . " وهكذا قبل الرسول (ﷺ) حقيقة نزول الوحي الذي كان أول ما جاء به (اقرأ) .

### الدعوة الإسلامية في موطنها الأول ( مكة ) :

قسم الباحثون الدعوة الإسلامية في عصر الرسالة إلى عهدين متميزين هما :

1- **العهد المكي** يبدأ بنزول الوحي على محمد (ﷺ) عام ٦٠٩ م ، وينتهي بالهجرة المباركة إلى

المدينة عام ٦٢٢ م ، وكانت هذه المرحلة ١٣ سنة ،

٢ - **العهد المدني** بدأ من تاريخ وصوله ( ) للمدينة عام ٦٢٢ م وينتهي بوفاته (ﷺ) سنة ٦٣٢ م ، وكانت

مدته ١٠ أعوام .

وما يخص العهد المكي فقد قسمه الباحثون المرهلتين رئيسيتين هما :

١ - **المرحلة السرية** وفيها كانت الدعوة الى الاسلام سرية، بدأت بنزول الوحي وانتهت بعد ذلك بثلاث سنين

(٦٠٩ - ٦١٢م).

عليه تعليق [hg1]:

ب- المرحلة العنقية : هي مرحلة إعلان الدعوة التي قام بها النبي (ﷺ) وأصحابه الكرام

وبدأت من عام ٦١٢ م حتى الهجرة إلى المدينة عام ٦٢٢ م .

وكان نزول الوحي على النبي (ﷺ) في غار حراء بمثابة إعلان لتثبيت ثلاثة أركان مهمة في العقيدة الإسلامية هي :

١ - الإيمان بالله تعالى وقدرته

٢ - الإيمان بالرسول (ﷺ) ، وان العناية الالهية هي من اصطفته من بين البشر ليكون رسول الله الى الناس

الإقرار بدور الملائكة ( جبريل ) في مسألة الوحي .

لهذا كانت السور الأولى في دور المرحلة السرية تركز الاهتمام بتوضيح عقيدة المسلمين في الله تعالى وما يجب عليهم من إخلاص عبادتهم الله ، فضلا عن توضيح مسألة البعث بعد الموت وما يتعلق بها من ثواب أو عقاب .

والملاحظ أن مسألة الإيمان بوجود الله تعالى كانت من الأمور المسلم بها عند المشركين

لا تحتاج إلى برهان ، قال تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس

والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون " العنكبوت ٦١ .

أما مسألة توحيد الألوهية لله تعالى ومسألة البعث بعد الموت فهي ما أنكرها المشركون كما أكدت ذلك آيات قرآنية منها قوله تعالى : " أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِلَٰهًا وَاٰجِدُ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ {5} " سورة ص، وقال تعالى : " ما نعبدهم إلا ليقربنا إلى الله زلفى " الزمر 3، وقال: " وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين " الانعام ٢٩ ، " وأقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله النحل (٣٨) أما العبادات التي فرضها الله تعالى في مرحلة سرية الدعوة فهي الصلاة وقيام الليل والزكاة ، قال تعالى : " قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلي " ، وقال: " يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو أنقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا إنا سنلقي من يموت عليك قولا ثقيلا " المزمل (1-0)

سرية الدعوة والمؤمنون الأوائل :

الملاحظ على هذه السرية أنها لم تكن مطلقة ، إذ أن مشركي مكة كانوا على دراية بتحركات الرسول (( وأتباعه بصورة عامة ، لهذا كان هناك نوع من التآني والحذر وعدم مخاطبة الناس علناً ، بل اقتصر على الأشخاص الذين يتوسم فيهم الخير . واستمرت هذه المرحلة ثلاث سنوات وانتفتت المصادر على أن أول من آمن بمحمد (ﷺ) زوجته خديجة ، واختلفت في ترتيب الثلاثة الذين آمنوا بعد ذلك وهم كل من علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة وأبي بكر الصديق . ومهما يكن من أمر فإن إسلام هؤلاء كان في أوقات متقاربة ...

وقد أورد ابن إسحاق حديثاً عن النبي (ﷺ) بقوله : " ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة وتردد ونظر ، إلا أبا بكر : ما عتم حين ذكرته له وما تردد عنه " . وعزا ابن كثير ذلك الى أن أبا بكر كان صاحب رسول الله (ﷺ) قبل البعثة وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق ، فكيف يكذب على الله ؟ " .

ثم أن أبا بكر أخذ يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه فأسلم على يده كما يذكر ابن إسحاق الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد

الرحمن بن عوف وغيرهم

ومهما يكن من أمر أخذ الإسلام ينتشر بين الناس في هذه المرحلة على يد الرعيل الأول من المؤمنين حتى وصل نهاية المرحلة السرية (٥٢) مسلماً ومسلمة ، وهم من عشائر مختلفة من مكة جلهم من الشباب الذين لم تتجاوز أعمار معظمهم (٣٠) عاماً ، وكانوا من الرجال والنساء والأحرار والعبيد ، ومن فئة التجار المتوسطين أو أبناؤهم ، لا بل أن أبناء كبار تجار

مكة كانوا من بين هؤلاء التلة المباركة مثل خالد بن سعيد بن العاص .

ويبدو أن النبي (ﷺ) قد أخذ في هذه المرحلة من دار الأرقم بن أبي الأرقم مقراً للدعوة إلى الإسلام ، وهي دار عند الصفا قرب المسجد الحرام يتوارى فيها النبي (ﷺ) عن أعين المشركين ليجمع بأصحابه ويقرئهم القرآن ويعلمهم فيه . ولعل السبب الذي حدا بالرسول (ﷺ) في اختيار هذه الدار مقراً لنشاطه في مكة هو قربها من المسجد الحرام وقوة عشيرته التي تضمن له الحماية ، فضلاً عن كون الأرقم بن عبد مناف بن اسد مناف شاباً دون العشرين من العمر ومن المحتمل انه كان رئيساً لعائلته.

علنية الدعوة ومقاومة المشركين لها :

على مدى ثلاث سنوات واصلت الدعوة انتشارها بين أفراد قبيلة قريش فلم تبقى عشيرة في مكة إلا وقد وجد الإسلام بين أفرادها من يؤمن به ، وبعدها أخذت الدعوة منحا آخر وهو لم تعد ضرورية ، فأمر الله تعالى نبيه (ﷺ) بإعلان الدعوة العلنية لأن السرية وهي الحذر (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) .

وكان موقف المشركين من الرسول (ﷺ) ودعوته تتسم بالبرود وبنوع من السخرية وعدم الرضا ، فكانوا إذا مر عليهم يسخروا منه فأمر الله تعالى الإعراض عن المشركين " فَاَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ {٩٥} الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ صِدْقًا ضَرْكًا بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) " الحجر وهكذا زادت حدة المواجهة بين الرسول (ﷺ) وزعماء المشركين ، وبدأ القرآن يذم عقيدتهم في عبادة الأصنام ، فشعر المشركون بخطر الأمر عليهم ، فعزموا التصدي للإسلام و المسلمين

#### عوامل مقاومة المشركين للدعوة الإسلامية:

١- العامل الاقتصادي : أدرك زعماء قريش أن تخليهم عن الشرك وعبادة الأصنام هو بمثابة تقويض الأسس التي قام عليها إيلاف قريش ( وهو ما يدخلهم في صراع مستمر مع القبائل العربية المشركة ، قال الله تعالى على لسانهم : " وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا " القصص ٥٧

٢- العامل الاجتماعي : عد المشركون تعاليم الدين الإسلامي خطرا على نظامهم الاجتماعي الذي يقوم على احترام النظام القبلي لتقاليد الآباء والأجداد " بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون الزخرف ٢٢. كما عدوا خروج المسلمين عن إرادة عشائهم لأنها لا تقوم على أعرافهم الا تقوم على فكرة الوحي الالهي ، وبقيادة مستقلة عن المأ المكي وهي قيادة محمد بن عبد الله (ﷺ) ، فضلا عن أن معيار التفاضل بين الناس في الإسلام والعمل هي التقوى وال الصالح : فهم سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربي و أعجمي ولا عبد وحر إلا بالتقوى ، وهذا خطر كبير عده المشركون نهاية نفوذهم ونظامهم الاجتماعي الذي يقوم على أساس الأقوى والأكثر أموالا وأولادا ، " وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ {٣٥} " سبا

٣- العامل السياسي : أن دعوة الإسلام إلى طاعة الله ورسوله هي بمثابة تهديد قوي للزعامة القبلية في مكة ، إذ أنهم رأوا أن انتشار الإسلام ينقل القيادة من بين أيدي أسياها إلى الرسول ( ) ، لذلك كان هذا دافعا قويا في رفض زعماء المشركين لدعوة الإسلام ، فراحوا يسخرون منه ( " وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخْذُونَكَ إِلَّا هُزُواً هَذَا الَّذِي

مادة التاريخ الإسلامي

ا.د. نصير بهجت فاضل

بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا {٤١} " الفرقان ، " وقال الله تعالى : " وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ {٣١} " الزخرف

الوليد بن المغيرة - عروة بن مسعود الثقافي .

**حماية بني هاشم وبني عبد المطلب للرسول (ﷺ) :**

إن اجتماع زعماء قريش على معارضة الدعوة وتهديدهم للرسول (ﷺ) بالأذى حمل عمه أبو طالب الذي كان رئيساً لعشيرته على الدفاع عن ابن أخيه وحمايته على الرغم من أنه كان دين قومه . ثم أنه دعا بني هاشم إلى ما هو عليه من حماية للنبي (ﷺ) فأجابوه إلى ذلك ، على إلا أبو لهب

أن من أسباب تأخر إسلام غالبية بني هاشم وبني عبد المطلب كان لاعتبارات سياسية تتعلق بحرصهم على عدم تدهور علاقاتهم ببقية العشائر المكية حتى ينتشر الإسلام في ظل حمايتهم ، وهذا ما عبر عنه ابن كثير بحديثه عن أبي طالب من انه أستر على دين قومه من حكمة الله تعالى ، ومما يصنعه للرسول (ﷺ) من حماية ، إذ لو كان أسلم لما كانت له تلك ، و لطالته أيديهم وألسنتهم .

المكانة عند المشركين

وأشارت المصادر إلى أن زعماء الشرك هم من تولى المعارضة لدعوة الإسلام . وقد حاول هؤلاء إقناع أبي طالب التخلي عن حمايته لمحمد (ﷺ) ، مقابل تعويضه بإعطائه شاب من خيرة شبابهم وهو عمارة بن الوليد بن المغيرة ، إلا أن أبا طالب رفض عرضهم وأستر على موقفه في حمايته لأبن أخيه (

وإذا كان زعماء الشرك قد عجزوا عن حمل بني هاشم وبني عبد المطلب بالضغط على الرسول (ﷺ) ومن امن معه للتخلي عن الدعوة ، بيد أنه كان من اليسير عليهم الضغط على أبناء عشائهم وحلفائهم الذين اعتنقوا الإسلام . وقد كان ذلك الضغط على المسلمين يتفاوت بحسب منزلتهم الاجتماعية في قومهم. ومن أساليب ضغط المشركين على المسلمين :

١ - الضغط الاجتماعي والاقتصادي .

٢ - الضرب والتعذيب وأكثر ما اعتمد هذا الأسلوب على العبيد

وعلى ما يبدو أن المسلمين من بني هاشم وبني عبد المطلب وبقية العشائر المتحالفة معهم في حلف الفضول ، لم يتعرضوا للأذى والضغط الاجتماعي من أجل ترك دينهم مثلما تعرض له الذين ينتمون إلى العشائر الأخرى .

وكان الصراع المشركين مع المسلمين أبعاد عقائدية منها توحيد الألوهية الله تعالى (لا إله إلا الله ) أي لا معبود بحق إلا الله في الدعاء والرجاء والخوف ... الخ . فكانت عقيدة الشرك تقوم على عكس هذا المبدأ ، أي أنهم



## مادة التاريخ الإسلامي

ا.د. نصير بهجت فاضل

عطلوا بعباداتهم توحيد الألوهية الله تعالى فجعلوا له يتعلق بها أندادا من أصنام صنعوها بأيديهم ، فضلا عن عدم إيمانهم بعقيدة ما بعد الموت وما : من جزاء وعقاب ، وزد على ذلك انكسار هم بمسألة الوحي على محمد بن عبد الله (ﷺ) .

### الهجرة إلى الحبشة :

بعد أن زاد أذى المشركين للمسلمين أمرهم الرسول ( ) بالهجرة إلى الحبشة ، وقال لهم ان فيها ملكا لا يظلم الناس ببلاه . فهاجر رجال من أصحابه إليها مخافة الفتنة وفروا إلى الله بدينهم .

ومن هنا يتضح أن دوافع الهجرة كانت بسبب اضطهاد المشركين الشديد للمسلمين ، فخاف النبي (ﷺ) عليهم من الفتنة وهي الإكراه في الدين ومن ثم الردة عن الإسلام ، فضلا عن تخليصهم من الضغط الاقتصادي الذي فرضه تجار مكة ، وبالتالي تضيق الخناق على تجارة مكة التي كانت الحبشة أحد الأقطار المهمة التي تتجه إليها تجارتهم.

وهكذا بدأت هجرة المسلمين إلى الحبشة بناءً على أوامر الرسول (ﷺ) في شهر رجب / السنة الخامسة من البعثة الشريفة ، فخرجوا متسللين سرا وبنحو تدريجي بهيئة مجاميع صغيرة وبمراحل استمرت سنوات عدة . ومهما يكن من أمر فإن عدد من هاجر إلى الحبشة كان بحوالي (٨٣) رجلا و (١٨) امرأة عدا الأطفال ، وبهذا يزيد عددهم عن المائة .

### المقاطعة الاجتماعية والاقتصادية لبني هاشم لسنة ٧ للبعثة.

تشكل مقاطعة قريش لبني هاشم إحدى حلقات الصراع بين المشركين وبين محمد بن عبد الله ( ) . فقد سعى زعماء الشرك إلى إقناع أبي طالب للتخلي عن ابن أخيه ، إلا أن أبا طالب وعشيرته رفضوا ذلك الأمر ، فاجتمع أمرهم على أن يدخلوا محمدا (ﷺ) شعبيهم ويمنعونهم مما أرادوا ، واتفق على هذا الرأي مسلم بني هاشم وكافرهم . وبهذا أصبح الرسول (ﷺ) بمأمن من أذى قومه ، ولم تبدأ مقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبد المطلب بعد دخول النبي (ﷺ) شعب أبي طالب مباشرة ، وإنما استمرت العلاقات بين الطرفين على وضعها السابق إلى أن عاد عمرو بن العاص من الحبشة واخبر قريشا بأن المسلمين وجدوا لهم موطناً آمناً هناك ، فكبر الأمر بعد ذلك على قريش وغضبوا على الرسول (ﷺ) وأتباعه ، فاجمعوا على قتله ، وكتبوا لبني هاشم ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم .

وبهذا اتفقت جميع العشائر المكية على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب اجتماعيا واقتصاديا حتى يتخلوا عن الرسول (ﷺ) ، ولم يستثنى من هذه المقاطعة سوى أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ( لأنه بما تتقريشا على عشيرته ومن ثم علقت صحيفة المقاطعة في جوف الكعبة واستمرت هذه المقاطعة ثلاث سنوات ، حوصر فيها بني هاشم في شعب أبي طالب باستثناء أبو لهب .

وحيثما أشدت تهديد المشركين للرسول (ﷺ) بالقتل طلب أبو طالب من ابن أخيه الانتقال من بيت زوجته خديجة الا الله إلى الشعب حيث منزل والده عبد الله بن عبد المطلب . وأجمعت المصادر التاريخية أن هذه المقاطعة كانت شديدة على عشيرة الرسول (ﷺ) وأهله لأنها شملت كل الأصعدة من اقتصادية واجتماعية وسياسية ، حتى يرغمهم التخلي عن حماية الرسول (ﷺ) ، أن مما تقدم من مقاطعة المشركين لبني هاشم وبني عبد المطلب قد أنفدت ما لديهم من مؤونة ، وأخذت آثار الفاقة والجوع تهدد القوم الذين بلغوا من ذلك جهدا شديدا

وهكذا قاس النبي (ﷺ) ومن معه محنة شديدة مدة ثلاث سنوات ، ومع ذلك كان (ﷺ) مستمرا في دعوته الله تعالى ، إذ دعا قومه سرا وعلاوية ، أثناء الليل والنهار ، والوحي عليه متتابع . وكان ( ) شديد الحرص في هذه المرحلة الصعبة على كسب بعض زعماء قريش لصفه ، إذ طمع بإسلام الوليد فوقف يكلمه ، فمر عليه ابن أم مكتوم الأعمى فكلم رسول الله (ﷺ) وجعل يستقرئه القرآن ، فعبس النبي (ﷺ) وتركه رجاء إسلام الوليد ، فانزل الله تعالى : " عَبَسَ وَتَوَلَّى {1} أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَرْكَبُ {٣} . . . " عبس .

أما نهاية فترة المقاطعة فذكر عروة بن الزبير أنه لما كان ثلاث سنوات على المقاطعة تلاوم رجال من بني عبد مناف ورجال من بني قصي ورجال ممن سواهم ، وذكروا الذي وقعوا فيه من القطيعة فاجمعوا أمرهم على نقض ما تعاهدوا عليه والبراءة منه ، كما ذكر ابن إسحاق انه عندما تقرر نقض الصحيفة قام المطعم بن عدي إلى الصحيفة فشقها ، فوجد الأربعة قد أكلتها إلا باسمك اللهم ) ، وهكذا انمحت وانتهت تلك الفترة القاسية على الرسول (ﷺ) وأبناء عشيرته من المسلمين وغيرهم .

بعد انتهاء فترة المقاطعة ووفاة خديجة (رض) زوج النبي (ﷺ) ، ووفاة عمه أبو طالب زادت الصعوبات على الرسول (ﷺ) ، إذ لم يعد هناك من يسنده ويحميه في مكة ، فأصبح من الضروري البحث عن موطن آخر للدعوة ، فكانت وجهة النبي (ﷺ) نحو الطائف التي تكثر فيها البساتين والمزارع . وكان سكانها يتألفون من عشيرتين بارزتين هما بنو مالك والأحلاف.

ومن الأسباب التي دفعت النبي (ﷺ) للتفكير بنشر دعوته في هذه المدينة هي الروابط الوثيقة التي تربط أهلها مع أهل مكة اقتصاديا وسياسيا ودينيا . وربما أن محمدا (ﷺ) قدر أن بعض أهل الطائف شعروا باستغلال أغنياء مكة لهم ويطمحون التخلص من ذلك النفوذ ، الأمر الذي قد يدفعهم للتعاون معه ( ) أو الإيمان به ، وحال وصوله الطائف لم يدع أحدا منهم إلا ودعاه إلى الإسلام خاصة أشرفهم وأعمدتهم ، إلا أنهم لم يجيبوه وعمدوا الإساءة إليه فغرروا سفهائهم وعبدهم بضربونه ويسبونه بوحشية حتى أدموا وجهه الشريف

إن عدم اكتساب الرسول (ﷺ) النصر من أهل الطائف ترتب عليها آثارا سلبية وهو أن عشيرته في مكة عدت هجرته إلى الطائف انخلاقا أو تخليا عن حماية عشيرته ، لهذا أصبح أمر عودته إلى مكة خطيرا جدا ، فبحث (ﷺ) عن شخص قوي يدخل بحمايته أو بجواره مكة ، فأماره (المطعم بن عدي) وبنوه فأدخلوه مكة وأقام فيها ، بيد أن مركزه (ﷺ) غدا ضعيفا لأن عشيرته عدوه بمنزلة المولى أو الحليف بعد أن كان ابن عشيرة صميم فزاد أذى قومه عليه .

وبعدها أخذ النبي (ﷺ) يعرض دعوته على القبائل العربية التي كانت تقصد مكة في الأشهر الحرم ومنها موسم الحج ، إلا أنه لم يجبه أحد وسبب ذلك على الأغلب هو تكذيب قومه له وتحذيرهم أبناء تلك القبائل منه . ومع ذلك فقد أجاب الرسول (ﷺ) لدعوته رجال من يثرب .

إن الانقسامات الحادة في المجتمع اليثربي بين الأوس والخزرج ، والتحدي العقائدي بوجود اليهود بينهم كان دافعا قويا لهم في البحث عن علاج جذري لحل تلك المشاكل . وهذا الوضع في يثرب لم يكن غائبا عن فكره (ﷺ) ما دفعه إلى محاوراة أهل يثرب وعرض الإسلام عليهم في مواسم الحج وفي إحدى تلك المواسم أجمع النبي الكريم (ﷺ) مع نفر من الخزرج فدعاهم لدين الله في موضع يسمى بـ (العقبة) فأجابوه وآمنوا به ثم رجعوا إلى ديارهم . وكان عدد هذا نفر ستة أشخاص واعدوا النبي (ﷺ) بدعوة قومهم للإسلام وأن يمهّدوا الطريق لالهجرته (ﷺ) إلى يثرب وتسليمه القيادة والإدارة .

### بيعة العقبة الأولى

تمثل بيعة العقبة الأولى خطوة متقدمة في التزام أهل يثرب ( المدينة ) بالإسلام وعزمهم تسليم قيادتهم بيد النبي (ﷺ) ، فبعد استجابة الكثير من أهل المدينة للدعوة بعد عودة نفر الستة لم يبق دار من دور الأنصار إلا وذكر فيها أسم محمد (ﷺ) وتوجه إلى مكة في موسم الحج من السنة الثانية عشر من البعثة / ٦٢١ م ، اثنا عشر رجلا من أهل المدينة من ضمنهم خمسة من ، أما البقية فكانوا من نفر الذين قابلوا الرسول ( ١ )

## مادة التاريخ الإسلامي

ا.د. نصير بهجت فاضل

في العام السابق ، اثنان منهم من الأوس الخزرج . وبهذا نجحت الدعوة في جمع القبيلتين المتضادتين على الأسلام وترك اسباب العداء .

التقى هؤلاء الرجال بالرسول (ﷺ) في موضع العقبة فبايعوه على الالتزام بمبادئ الإسلام . وعرفت هذه البيعة بـ (بيعة العقبة الأولى) . وبعد مغادرة هؤلاء الرجال مكة وعودتهم ديارهم أرسل النبي ( ) مصعب بن عمير ليقراهم القرآن ويعلمهم الإسلام .

وقد حرص مصعب (رض) على نشر الدعوة بين أفراد قبيلة الأوس بصورة خاصة ، لأن معظم من أسلم كانوا من الخزرج لذلك ركز جهوده على أبناء قبيلة الأوس لكسبهم إلى جانب الدعوة وبالتالي توحيد صف أهل المدينة . ومع ذلك فإن هذا النشاط لم يحظ بتأييد زعماء الأوس لأنهم كانوا لا يزالون على الشرك ، فراعى مصعب في نشاطه هذا الحذر والسرية إلى أن أستطاع كسب بعض رجالهم كأسيد بن حضير وسعد بن معاذ ، وقد ترتب على إسلام سعد بن معاذ أن أسلم جميع بني عبد الأشهل . وهكذا أنتقل مصعب بن عمير بالدعوة من السرية إلى العلنية فأمن كثير من الناس على يديه بما فيهم أشرفهم فكسرت الأصنام وأصبح المسلمون أعز أهل المدينة وأصلح أمرا .

### بيعة العقبة الثانية : بيعة الحرب ( وسميت بيعة الحرب )

في العام الثالثة عشر من البعثة المباركة ٦٢٢م ذهب عدد من المسلمين من أهل المدينة إلى مكة مع قومهم لأداء الحج ، وذكر أن عددهم كان ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين فقابلوا رسول الله (ﷺ) وتواعدوا الاجتماع عند العقبة بعد أداء مناسك الحج وأمرهم بالسرية والتكتم في ذلك الأمر .

وعندما حان وقت الاجتماع ومضى ثلث الليل ، خرج الأنصار متسللين لحضور الاجتماع مع النبي (ﷺ) والذي كان قد سبقهم إلى مكان الاجتماع بصحبة عمه العباس بن عبد المطلب على الرغم من كونها يزال مشركا ، إلا أن حضور العباس ذلك الاجتماع يقوي مركز النبي (ﷺ) أمام الأنصار ولا يبدو رجلا وحيدا تخلى عنه قومه وعشيرته في تلك الانتماءات وزنا ثقيلًا.

وبدأ الاجتماع بخطاب القاه العباس على الحضور أكد فيه أن محمدا من قريش وهو في مترو منحة من قومه وبلده غير انه أبى الا الانحياز اليكم طلب ( فطلب العباس منهم . أن كانوا وافون لما دعوه إليه ومانعوه ممن خالفه فأمضوا في أمركم ، وإلا فدعوه فانه في عز ومنعه من قومه وبلده .

وبعدها تكلم الرسول (ﷺ) فتلا عليهم القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ، ثم قال أبايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساؤكم وأبنائكم ، فبايعوا على ذلك . وبهذا تمت بيعة العقبة الثانية بتعهد الأنصار حماية الرسول (ﷺ) حينما يصل مدينتهم والدفاع عنه كما يدافعون عن أنفسهم ، وفي المقابل عد النبي نفسه واحدا منهم .

ثم طلب رسول الله (ﷺ) منهم بعد البيعة أن يخرجوا له اثنا عشر نقيبا يكونوا كفلاء على قومهم ، وأن يكون هو كفيلا على المسلمين من قومه في مكة . فأخرجوا له تسعة نقباء من الخزرج وثلاثة من الأوس لأن عدد الخزرج بين الأنصار كان أكبر من عدد الأوس .

أن بيعة العقبة الثانية كانت بداية النهاية للمرحلة المكية من الدعوة التي أتسمت بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالأحسن ، فشكلت هذه البيعة بداية أسلوب جديد يمكن ان يسمح باستخدام القوة واللجوء إلى الحرب في مجاهدة العدو.

#### الهجرة إلى المدينة :

بعد أن تمت بيعة العقبة الثانية شجع النبي (ﷺ) أصحابه المكيين الهجرة إلى المدينة قبل هجرته إليها وذلك لتوجيه عملية الهجرة والاطمئنان على وصولهم بسلام . فخرج المهاجرون ارسالا - جماعة بأثر جماعة - ، وأحاطوا أمر هجرتهم ومغادرتهم مكة بالسرية حتى لا تثار حفيظة قريش وتمنعهم الخروج ، إلا أن الحفاظ على سرية الهجرة في مدينة صغيرة مثل مكة كان أمرا صعبا خاصة أن بعض الأسر قد هاجرت بأكملها وأغلقت بيوتها . وحاولت بعض الأسر منع أبنائها من الهجرة بالقوة ، كما ومارس زعماء الشرك الضغط على المستضعفين من المسلمين ومنعهم الهجرة . وعلى الرغم من كل هذا هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة وكان عدد المهاجرين سبعين (٧٠) ، ولم يبق في مكة من المسلمين إلا من حبس أو فتن في دينه.

#### هجرة الرسول (ﷺ) إلى المدينة :

بعد أن هاجر المسلمون إلى المدينة لم يبق بمكة سوى الرسول (ﷺ) وعلي بن أبي طالب وأبي بكر الصديق اسلام. وقد أدرك زعماء الشرك مخاطر نجاح الهجرة على مصالحهم الاقتصادية والسياسية والدينية . لذلك عقدوا اجتماعا في دار الندوة وتداولوا فيه مسألة الرسول محمد (ﷺ) ، فاستقر رأيهم الأخير على قتله، استنادا إلى خطة اقترحها أبو جهل والتي تتلخص باختيار فتي جلدا نسيبا ووسيطا من كل قبيلة يعمدوا على ضرب النبي (ﷺ) ضربة رجل واحد فيقتلوه ، وبذلك يتفرق دمه بين القبائل.

وذكرت المصادر التاريخية أنه (ﷺ) عرف بهذه الخطة ، وأشار القرآن الكريم إليها بقوله : "وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكر الله والله خير الماكرين " الأنفال ٣٠ . وعليه سارع النبي (ﷺ) إلى إعداد خطة الهجرة بسرية . وقامت هذه الخطة على تكليف علي بن أبي طالب الله الله المبيت في فراش النبي (ﷺ) ليوهم المشركين بأنه رضي ما زال في داره ليلة الهجرة .

وقام أبو بكر الصديق ( بشراء راحلتين للسفر وأستأجر دليلًا لهما في الصحراء وهو ( عبد الله بن أريقط ) ، وتولى أبو بكر مع صاحبه ( ) وضع خطة مغادرة مكة وتأمين وصول الطعام إليهما بطريقة آمنة . وقد خرج محمد بن عبد الله ( ) وصاحبه الصديق بسرية إلى غار نور بجبل ثور وتواعد مع دليلهما أن يلقاها هناك بعد ثلاث ليال . وقد دعا (ﷺ) بعد خروجه من مكة وقال : " والله إنك لخير أرض الله، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت " رواه الترمذي

وبعد ذلك خرج المشركون يقتفون أثر النبي ( ١ ) وصاحبه ، وأعلنوا في نواديهم أن لكل من يأتي بمحمد (ﷺ) حيا أو ميتا مئة ناقة . فبلغ المشركون جبل ثور ومروا بالغار فأروا على بابه نسيج العنكبوت وهو من جند الله تعالى التي نصر بها نبيه " وما يعلم جنود ربك إلا هو " المدثر ٣١ . وقد جاء في الصحيحين من حديث أنس عن أبي بكر (الله) قال: " نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار ، فقلت : يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى قدميه لأبصرنا ، فقال : " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ " . ولما يئست قريش من العثور عليهما وخف سعيهم ، خرج النبي وصاحبه من الغار سالكين طريقا غير الطريق المعتاد الذي كان يسلك الوديان والسهول وصادف أن التقى بهما أحد المشركين وهو (سراقة بن مالك بن جعشم ، إلا أن النبي (ﷺ) أمره بالرجوع وواعده بسواري كسريل، فرجع بأذن من الله تعالى مدافعا عن النبي (ﷺ) بعد أن جهد نفسه في سبيل القبض عليه والظفر بالجائزة الكبرى والمغرية جدا . واستغرقت الرحلة المباركة منذ خروجهما من مكة حتى وصولهما المدينة ثمانية أيام.

وكان وصوله (ﷺ) المدينة بمثابة عيد للمسلمين ، إذ خرج الرجال والنساء والأطفال مرحبين بمقدمه ومسرورين به، فلبس الناس أحسن ملابسهم وكان ذلك يوم عزة للمسلمين خرجوا به أنطاق الضيق والقهر في مكة إلى نطاق الانطلاق والانتشار والعزة ، وهكذا كان ميقن موقف | هل المدينة من الرسول (ﷺ) على النحو الآتي :

1 - المسلمون من الأوس الخزرج كان ولاؤهم للرسول (( كاملا بحكم إيمانهم به ومبايعتهم له.

## مادة التاريخ الإسلامي

ا.د. نصير بهجت فاضل

2- المشركون من الأوس والخزرج كان موقفهم يقوم على التضامن مع قومهم من المسلمين استنادا إلى الأعراف والتقاليد العربية .

3- اليهود من بني قينقاع والنظير وبني قريظة وغيرهم ، إذ كانوا حلفاء للأوس والخزرج ، ومن ثم كانوا ملزمين باحترام العهود التي عقدت بينهم.

وهكذا تمت الهجرة المباركة بنجاح وانتقل المسلمون إلى طور جديد هو طور الدولة والتنظيم والأمة التي قادها الرسول (ﷺ) .

### نشأة سلطة الرسول (ﷺ) في المدينة :

لم يشهد أهل المدينة قبل هجرة الرسول (ﷺ) إليها سلطة مركزية تدير أمورهم ، وذلك بسبب انقسام أهل المدينة إلى خمس قبائل اثنان منها عربية وثلاث يهودية . ولذلك كانت حدة المنافسة بينهم كثيرا ما تقود إلى حروب وصدامات مسلحة كان آخرها حرب بعاث إن بداية سلطة الرسول (ﷺ) في المدينة كانت روحية تقوم على إيمانهم بأنه رسول الله إلى الناس ، ومن ثم يجب عليهم الاستسلام لما يأتيهم به من أوامر وتوجيهات من الله تعالى ولا يجوز مخالفتها ، قال الله تعالى : " وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله " سورة النساء ٦٤

وقال: " يطع الرسول فقد أطاع الله " سورة النساء (٨)

وقد أثبتت بيعة العقبة الثانية سلطة الرسول (ﷺ) السياسية على من أسلم من أهل المدينة ، إذ أعلن المبايعون فيها من أهل المدينة استعدادهم لطاعة الرسول (ﷺ) وتعهدهم حمايته والدفاع عنه في مدينتهم . وبهذا أصبح للرسول (ﷺ) بعد هذه البيعة قيادة سياسية بامتثال جميع الأنصار بما فيهم بعض رؤساء الأسر والعشائر من قبيلتي الأوس والخزرج من أمثال سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وغيرهم.

### تنظيمات الرسول (ﷺ) وأعماله في المدينة

#### 1 - إزالة أسباب العداء بين الأوس والخزرج

#### 2- تأسيس مسجد قباء :

تقع قباء على مشارف المدينة ، إذ نزلها النبي (ﷺ) قبل توجهه إلى المدينة لنواحي احترامية ، وقام فيها ببناء مسجد صلى فيه وهو المسجد الذي أسس على التقوى كما أشار القرآن الكريم إليه .

### 3- بناء مسجد المدينة ومساكن الرسول (ﷺ)

تنافست عشائر المدينة على استضافة النبي (ﷺ) بعد مغادرته قباء وتوجهه إلى المدينة ، بيد أن الرسول (ﷺ) تعذر منهم بقوله : " خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة " . وأخيرا بركت يعتذر الناقة في الموضع الذي شيد فيه مسجد النبي (ﷺ) وحجرات زوجاته، وكان مريداً لغلّامين يتيمين من بني النجار ، أتباعه منهما رسول الله (ﷺ) بعشرة دنانير

وقد تم بناء جدران المسجد باللين ، أما أعمدته فمن جذوع النخيل وسقف بجريده وكانت مساحته 100×100 نراع مربع ، وجهت قبلته نحو بيت المقدس قبلة المسلمين آنذاك. ومن ثم بنى (ﷺ) حجرات زوجاته بجانب المسجد وهي عبارة عن غرف صغيرة بنيت من نفس مادة بناء المسجد ، ويلاحظ ان الرسول الله (عليكم) قد جعل مساكنه متصلة بالمسجد بحيث يخرج من بيته الى المسجد مباشرة، وهذا ما اصبح سنة في الخلافة الاسلامية - المؤاخاة :

قام رسول الله (ﷺ) بالمؤاخاة بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة وشد أزر بعضهم بعضا . وبهذا كان سبب المؤاخاة اجتماعيا توخى منه (ﷺ) إقامة علاقة تقوم على المساواة والمؤاساة بين المهاجرين والأنصار .

### 5 - إعلان الصحيفة :

نظم الرسول (ﷺ) العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية بين فئات مجتمع المدينة بصحيفة عدت بمثابة دستور للمدينة ، تقدمت صورة للتنظيم القانوني الذي وضعه (ﷺ) لتنظيم أوضاع دولة المدينة في مختلف جوانب الحياة . وجاء في بداية هذه الصحيفة « بسم الله الرحمن الرحيم ، من الكتاب من محمد النبي ( علي عليه) بين المؤمنين والمسلمين، من قرئش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم . إنهم امة واحدة من دون الناس.



كلية الآداب ... قسم الآثار

مفردات مادة التاريخ الاسلامي ... المرحلة الثانية .. أ.م.د . نصير بهجت فاضل

الفصل الأول : المصادر الرئيسية لتاريخ العرب قبل الإسلام .

الفصل الثاني : أحوال العرب قبل الإسلام : تمهيد : - شبه الجزيرة العربية موطن العرب الأصلي

قبل الإسلام

أولاً :- الحياة السياسية والاجتماعية لعرب ما قبل الإسلام .

ثانيا : الحياة الدينية والمعتقدات والعبادات العرب ما قبل الإسلام .

ثالثاً : أهم الممالك العربية قبل الإسلام

أ ممالك اليمن القديم .

ب ممالك شبه الجزيرة العربية ..

رابعاً : أهم المدن العربية قبل الإسلام .

الفصل الثالث : تاريخ عصر الرسالة والخلفاء الراشدون

أولاً : مصادر تاريخ الدولة العربية الإسلامية

ثانيا :- أحداث القرن الأول الهجري ( سيرة الرسول الأعظم محمد ( صلى الله عليه وسلم ) وبناء

المسجد النبوي الشريف

ثالثاً : الخلافة الراشدة

رابعاً : - تخطيط المدن في الخلافة الراشدة ( البصرة - الكوفة - الفسطاط )

الفصل الرابع : العصر الأموي والعصر العباسي

أولاً :- العصر الأموي ( 41-132هـ ) ، تأسيس مدينتي واسط والقيروان

ثانياً :- العصر العباسي ، تأسيس مدينة بغداد

### عنوان المحاضرة : مصادر دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام

يعد تاريخ العرب في عصر ما قبل الإسلام أضعف قسم كتبه المؤرخون العرب عن أحداث تلك الحقبة من الزمن ، وأغلب ما وصل إلينا عن تاريخ تلك الحقبة ، لا يعدو أن يكون أساطير وروايات خرافية ، وأخبار أخذت عن اليهود وغيرهم ، وأخرى وضعها الإخباريون في العصر الإسلامي ، وقد استمر الاعتماد على هذه الموارد حتى القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث قام المؤرخون سيما المستشرقون بالبحث عن مصادر أخرى لهذا التاريخ ، ووجهوا اهتمامهم الى النقوش والكتابات العربية التي دونها العرب قبل الإسلام ، فترجموا كثيرا من تلك النصوص الى لغاتهم ، وعملوا على نشرها باللاتينية أو العبرانية أو العربية في بعض الأحيان ، وعلى استخلاص ما ورد فيها من أمور متنوعة عن التاريخ العربي .

وبفضل هذه الجهود التي بذلها المؤرخون والآثريون أمكن الحصول على أخبار دول وأقوام عربية لم يرد لها ذكر في المصادر الإسلامية ، لان اخبار تلك الدول وأولئك الأقوام كانت قد انقطعت وطمست قبل الإسلام ، فلم تبلغ أهل الأخبار ، ومما ساعد المستشرقين على شرح تلك الكتابات وتفسيرها ، معرفتهم بلغات عديدة كالعبرانية والسريانية والبابلية ، وكان للسياح الذين جابوا مواضع متعددة من جزيرة العرب لاسيما القسم الغربي والجنوبي منها فضل كبير في بعث الحياة في الكتابات التي تتصل بتاريخ العرب قبل الإسلام ، إذ اخذ أولئك السياح بعض الكتابات وصوروا البعض الآخر ، وبفضل التعاون مع علماء اللغات الشرقية أمكن حل رموز تلك الكتابات ، واستطاعوا بذلك تدوين ما توصلوا اليه من التاريخ القديم الذي بين أيدينا .

وقد جمعت مادة تاريخ العرب قبل الإسلام من موارد كثيرة أهمها ما يأتي :- 1 القرآن الكريم ويعد أهم مصدر من مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام ، لما يقدمه من نصوص

فريدة عن حياتهم آنذاك

2 الآثار والنقوش والكتابات القديمة : الآثار هي ما بقي شاخصا من دلالات الحضارات والمدن

القديمة ، وتعد مصدرا مهما يقدم معلومات قيمة عن حقبة تاريخية معينة

أما النقوش والكتابات القديمة فتعد في طليعة المصادر التي ردت تاريخ العرب قبل الإسلام بمعلومات مهمة لأنها الشاهد الناطق الحي الباقي من تلك الأيام ، وهي على قسمين ، نقوش وكتابات غير عربية تطرقت الى ذكر العرب ، أو نصوص وكتابات عربية كتبت بلهجات مختلفة

عثر على بعضها في العربية الجنوبية أو مصر أو الحبشة أو غيرها .

### 3 التوراة والتلمود وبعض الكتب العبرانية

التوراة : كلمة تعني التعليم أو التوجيه أو الإرشاد ، وهي الأسفار التي نزلت على موسى ( عليه

السلام ) كسفر التكوين والخروج وغيرها

التلمود : كلمة عبرية تعني الدراسة ، وهو كتاب تعليم الديانة اليهودية ، وبصياغة أخرى هو تدوين لنقاشات حاخامات اليهود ، وقصص موثوقة من التراث اليهودي ، وهو مرجع اساس لتعليم أخلاق

هذه الديانة

4- الكتب اليونانية واللاتينية : وهي كتابات هيرودوتس ( 484-425 قبل الميلاد) ، إذ ذكر العرب أثناء حديثه عن حروب الفرس ، وسترابو ( 64 أو 63 قبل الميلاد - 24 ميلادية ) الذي ألف كتاب في الجغرافية وتكلم في أحد فصوله عن مدن العرب ، هذا فضلا عن الجغرافي الفلكي بطليموس ( 100 - 170م) الذي دون كتاب في الجغرافية وصف فيه العلاقات مع العرب ثم أشار الى بعض ربوعهم 5 المصادر العربية الإسلامية : ومنها كتاب المحبر لمحمد بن حبيب ، وكتاب المسالك والممالك للإصطخري.